(بسمه تعالى شأنه)

﴿ ومن يعظم شعائر الله فأنها من تقوى القلوب ﴾

(هذه الرسالة المسماة)

كشف النقاب عن عقائد ابن عبد الوهاب

تأليف

(العلامة البارع السيد على النقى بن العلامة الفقيه السيد ابى)
(الحسن بن حجة الأسلام السيد ابراهيم بن العلامة العلم)
(السيد محمد التقى صاحب التفسير ابن العالم العلم وبحر العلم)
(الخضم السيد حسين ابن العلامة المجتهد الكبير السيد)
(دلدار على النقوى اللكهنوري صاحب عماد)
(الأسلام والتأليفات الشهيرة من تلامذة آية)
(الله بحر العلوم الطباطبائى النجفى قدس)
(الله اسرارهم)

طبع بالمطبعة (الحيدرية) فى النجف الأشرف

(بسمه تعالى شأنه)

﴿ ومن يعظم شعائر الله فأنها من تقوى القلوب ﴾

(هذه الرّسالة المسماة)

كشف النقاب عن عقائد ابن عبد الوهّاب

﴿ تأليف ﴾

(العلاّمة البارع السيد على النقى بن العلامة الفقيه السيد ابى)
(الحسن بن حجة الأسلام السيد ابراهيم بن العلامة العلم)
(السيد محمد التقى صاحب التفسير ابن العالم العلم وبحر العلم)
(الخضم السيد حسين ابن العلاّمة المجتهد الكبير السيد)
(دلدار على النقوى اللكهوُرى صاحب عماد)
(الأسلام والتأليفات الشهيرة من تلامذة آية)
(الله بحر العلوم الطباطبائى النجفى قدس)
(الله اسرارهم)

﴿ طبع بالمطبعة (الحيدريّة) فى النجف الأشرف ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تنزه عن الصفات وتعالى عن الجسم والجسمانيات والصلوة على رسوله الشافع المشفع الذى جعله الله وسيلة الى استجابة الدعوات وقضاء الحاجات واهل بيته الذين من توسل بهم فقد فاز بالنجاة ومن تولى عنهم ادخله الله فى النار خالداً فيها مادامت الأرض والسموات صلوة نافعة ناجعة ما وقف حجاج بيت الله الحرام فى العرفات واستهدفوا الشياطين فى منى برمى الجمرات ﴿ اما بعد ﴾ فهذا كشف النقاب عن عقائد ابن عبد الوهاب تصدى له اضعف عباد الله القوى على نقى النقوى حباه الله مناه واتاه كتابه يوم القيمة بيمناه وذلك حين قادته ازمة العناية الربانية الى البقعة الطيبة الشعشعانية القائلة لمن دخلها لا تخف اعنى ارض النجف على مشرفها آلاف التحية والتحف ما احتضنت فرائد اللئالى بطون الصدف فأناخ بها مطية الاغتراب وغسل بزاخر بحرها درن الاكتئاب وطفق يرفل فى جنات عدنها يقتطف الثمار اليانعة من عساليج غصنها

— لكاتبه —

بقعة بالشمس ازرت اذ بدت * نوره الرحمن فيها قذفا

فاحت الفردوس منها وزهت * عرفها يوماً اذا ما ازدلفا
نورُ ربّي من ذراها ساطع * كاد ابصار الورى ان يخطفا
يالها من تربة زاكية * فاقت العرش ثراها شرفا
روضة اشجار غفران بها * اينعت اثمارها كي تقطفا
تربة قد ضمنت في حجرها * سيّد الخلق وصيّ المصطفى

فلما سكن بها روعتي وقرّ جاشي وشغف بشمع قدسها فراشي دار في خلدي ما كنت من ازمنة مديدة في صدده من ترشيح صحيفة يودع بها تفاصيل عقائد الوهابية لينكشف الحجاب عن صراح الحق وينحسر الباطل فيزهق فانّ كثيراً من الناس غارزونُ في سنة الغفلة عن عقائد هذه الفرقة فجاء ما هو المرام في نبيذة من الأيّام كما كان في الكتاب مسطوراً بعد ان لم يكن شيئاً مذكوراً وقد رتّبت هذا الكتاب على مقدّمة وابواب (امّا المقدّمة) ففي تاريخ ابن عبد الوهّاب وكيفية نشوه وارتقائه (الباب الأوّل) عقيدته في حضرة الله جل شأنه (الباب الثاني) عقيدته في رسول الله صلى الله عليه وآله (الباب الثالث) عقيدته في الأولياء والصالحين (الباب الرّابع) عقيدته في المسلمين من جميع اقطار الأرض (الباب الخامس) عقيدته

في قبور الأنبياء والصالحين (الباب السادس) بعض ما جاء في اهل نجد من اخبار النبي والسلف الصالحين (الباب السابع) في اعمال الوهابية من اول يوم بروزهم الى العصر الحاضر خاتمة في استنهاض المسلمين من جميع الأقطار لحماية حرم الله ورسوله وعلى الله التوكل وبه الأعتصام في المبدأ والختام

المقدمة

﴿ تاريخ ابن عبد الوهاب وكيفية نشوه وارتقائه ﴾

(١) هذا هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي نشأ في بلد العيينة من بلاد نجد فقرأ على ابيه الفقه على مذهب احمد بن حنبل وكان من صغره يتكلم بكلمات لا يعرفها المسلمون وينكر عليهم اكثر الذي اتفقوا على فعله لكنه لم يساعده على ذلك احد. فسافر من بلدة العيينة الى مكة المشرفة وبعد ما قضى نسكها سار الى المدينة فأخذ عن الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف واشد الانكار على الأستغاثة بالنبي ص عند قبره ثم رحل الى نجد ثم الى البصرة يريد الشام فلما ورد البصرة اقام فيها مدة واخذ فيها

---

(١) نقلنا هذه الجملة بمعناها من تضاعيف كتاب تاريخ نجد لأبن الألوسي ١٢

عن الشيخ محمد المجموعى وانكر ايضاً اشياءً كثيرة على اهل البصرة فاحس المسلمون بذلك فاخرجوه فلما خرج هارباً من البصرة جاء بعد عدة تحولات الى بلد حريملة من نجد وكان ابوه فى هذه البلدة فلازمه وقرأ عليه لكنه اظهر الانكار على مسلمى اهل نجد فى عقائدهم فنهاه ابوه عن تلك الهفوات وكان عالماً متبحراً على مذهب احمد بن حنبل فلم يمتنع حتى وقع بينه وبين ابيه منازعة وجدال وكذلك وقع بينه وبين المسلمين فى بلد حريملة جدال كثير فاقام على ذلك مدة سنين حتى توفى ابوه الشيخ عبد الوهاب سنة ١١٥٣ فاجترا على اظهار عقائده والانكار على المسلمين فيما اطبقوا عليه وتبعه حثالة من الناس الى ان غص اهل البلد من مقالاته وهموا بقتله فانتقل من حريملة الى بلد العيينة ورئيسها يومئذ عثمان بن احمد بن معمر فاطمعه ابن عبد الوهاب فى ملوكية نجد واعرابه فساعده عثمان واعلن الرجل بترويج سوقه وشدد فى التنكير على المسلمين فتبعه بعض اهالى العيينة وهدم قبة قبر زيد بن الخطاب التى عند الجبيلة فعظم امره وبلغ خبره الى سليمان بن محمد بن عزيز الحميدى صاحب الاحساء والقطيف وما حوله فارسل سليمان كتاباً الى عثمان يامره فيه بقتل الرجل

ويهدده على مخالفته فلما ورد الكتاب الى عثمان لم تسعه مخالفته فارسل الى الرجل واخبره بكتاب سليمان وامره بالخروج عن مملكته فاطمعه الرجل في الملك وقال ان نصرتني ملكت نجداً فما راج عليه زيف قوله وشدد عليه الأمر بالجلاء فخرج الرجل وسار الى الدرعية وكان ذلك سنة ستين بعد المائة والالف وان هذه الارض كانت من قبل محط رحل الشيطان ومطلع قرنه وهي ارض يمامة التي خرج منها مسيلمة الكذاب واظهر الفساد كما لا يخفى على من جاس خلال تواريخ هذه الديار وكان صاحبها محمد بن سعود من قبيلة عنيزة فتوسل الرجل بامرأة الحاكم اليه واطمعه في العز والتمكين والغلبة على جميع بلاد نجد فاستأسرته حبائله فبايعه على سفك دماء المسلمين يسميه جهاداً في سبيل الله فقام محمد بن عبد الوهاب ودخل مع الحاكم البلد فهنالك نفق سوقه وارتفع لوائه وجعل ابن السعود يجهز لنصرته الجيوش ويالب التوويج طريقة العساكر ولما استقام امره في الدرعية كتب الى اهل بلاد نجد والى رؤسائهم وقضاتهم يطلب الطاعة والانقياد فمنهم من سول له امره فأطاعه ومنهم من لم يحفل به فأمر الرجل اهل الدرعية بالمقاتلة معهم فامتثلوا

امره وقاتلوا المسلمين من اهل نجد والأحساء دفعات كثيرة الى ان دخل بعضهم فى طاعته طائعين او مكرهين وحصلت امارة بلاد نجد وقبائلها جميعاً لآل السعود بالسيف والغلبة . ومات ابن عبد الوهّاب سنة ست بعد المائتين والألف لكن بقى ماراج من ضلاله بعد موته على حاله يبوء الى يوم القيامة بوبآ له كما قال الصادق المصدّق من سن سنّة سيئة كان عليه وزر من عمل بها الى يوم القيامة ولم يزل ولاة نجد بعد ذلك على طريقة ابن عبد الوهاب يقاتلون من خالفها من المسلمين ويسفكون دماءهم من غير حق وقد خلف محمد بن السعود عبد العزيز وهو ايضا قاد الجيوش لنصرة تلك الطريقة وبلغت سراياه وعماله اقصى بلاد نجد ثم خلف عبد العزيز سعوداً وكان اشدّ من ابيه فى التوهب منع المسلمين عن الحج وخرج على السلطان وغالى فى تكفير من خالفهم وكذلك الى هذا العصر اذا قطع منهم قرن نجم قرن والله مقدّر الامور واليه التقدير والتدبير

﴿ الباب الأوّل ﴾

﴿ عقيدته فى حضرة الله جلّ شأنه ﴾

(اعلم) انه يدّعى توحيد الله سبحانه وينسب جميع المسلمين الى الشرك ولكنك لو احويت علما بما تقول فى تضاعيف كتبه لعلمت انه بنفسه خرق ستور التوحيد وانه تكلم فى حضرة الله تعالى عما يقول علواً كبيرا بكلمة تكاد السموات يتفطرن منها وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدًا وهى انه يحمل آيات الصفات على ظاهرها فيقول انّ الله جالس على العرش حقيقة وان له يداً ورجلاً وساقا وجنباً وعينا ووجها ولسانا ونفساً وغيرها حقيقة وانه يتكلم بحرف وصوت وذلك عين التجسيم الذى اطبق المسلمون على كونه كفراً كما سنلقى عليك منه ذكراً وكتبه مشحونة بأمثال هذه العقائد (فقد قال) فى موضع من كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد فى باب قول الله

(حتى اذا فزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربّكم قالوا الحق وهو العلىّ الكبير) (العشرون اثبات الصفات خلافا للاشعرية المعطلة) وكتب الشارح تحت ذلك يقول الاشعرية هذه الفرقة المنتسبة لابى الحسن الاشعرى انكرت كثيراً من الصفات (منها) علو الله تعالى واستوائه على عرشه بائناً عن خلقه ومحبته لعباده الصالحين ورحمته لهم ورضاه وغضبه وغير ذلك خلافا لما جاء عن

رسول الله واصحابه وسائر السلف الصالحين انتهى (ثم) انه عقد فى آخر الكتاب باباً للأستدلال على ذلك بالأحاديث التى يفهم منها القشرية ذلك فقال (باب) ما جاء فى قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) الآية (عن ابن مسعود رضي الله عنه) قال جاء حبر من الاحبار الى رسول الله ص فقال يا محمد انا نجد ان الله يجعل السموات فى اصبع والأرضين فى اصبع والشجر على اصبع والماء على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع فيقول انا الملك فضحك النبي ص حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) الآية وفى رواية لمسلم والجبال والشجر على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك انا الله (وفى) رواية للبخارى يجعل السموات على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع اخرجاه (ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً) يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوى الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون

(وروى) عن ابن عباس قال ما السموات السبع والارضون السبع فى كف الرحمن الا كخردلة فى يد احدكم (وقال) ابن جرير حدثنى يونس انا ابن وهب قال قال ابن زيد حدثنى ابى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما السماوات السبع فى الكرسي الا كدراهم سبعة القيت فى ترس قال وقال ابو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله ص يقول ما الكرسي فى العرش الا كحلقة من حديد القيت بين ظهرى فلاة من الارض (وعن) ابن مسعود قال بين السماء الدنيا والتى تليها خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والمآء خمسمائة عام والعرش فوق المآء والله فوق العرش لايخفى عليه شيء من اعمالكم (اخرجه) ابن مهدى عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله ورواه بنحوه المسعودى عن عاصم عن ابى وائل عن عبد الله قال له الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى قال وله طرق وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بين السماء والأرض قلنا الله ورسوله اعلم قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء الى سماء مسيرة

خمسمائة سنة وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة وبين السماء السابعة والعرش بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والأرض والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من اعمال بنى آدم اخرجه ابو داؤد وغيره فيه مسائل (الأولى) تفسير قوله تع (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) (الثانية) انّ هذه العلوم وامثالها باقية عند اليهود الّذين فى زمنه ص لم ينكروها ولم يتأوّلوها : (الثالثة) انّ الحبر لما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم صدّقه ونزل القرآن بتقرير ذلك : (الرّابعة) وقوع الضحك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم : (الخامسة) التصريح بذكر اليدين وانّ السموات فى اليد اليمنى والأرضين فى الأخرى : (السادسة) التصريح بتسميتها الشمال « انتهى » وقد ذكر محمود شكرى الألوسي المتوهّب فى تاريخ نجد فى دين اهل نجد واعمالهم انهم يقرّون ايات الصفات والأحاديث على ظاهرها (١) ويكلون معناها الى الله تعالى انتهى « ثم قال » فى موضع آخر

« ١ » ليت شعرى لو وكلوا معناها الى الله لما حكموا بقطعيتها على ظاهرها ولتوقفوا فى ذلك فافهم ١٢

من هذا الكتاب من جملة عقائدهم انّ الله تعالى على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وانّ له يدين بلا كيف (١) كما قال لما خلقت بيدىّ وكما قال بل يداه مبسوطتان وانّ له عينين بلا كيف وانّ له وجهاً جلّ ذكره كما قال تعالى ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والاكرام انتهى ولا يخفى على من اتى النظر حقه انّ هذه الأقوال مما يأباه الشريعة الأسلامية والملة المصطفويّة لملازمتها التجسيم وانّ المجسمة قد اطبق المسلمون على كفرهم فانّه ينافى التوحيد كما قال حكيم الامة الأسلامية وامامها امير المؤمنين علىّ بن ابيطالب عليه السلام فى نهج البلاغة ومن كمال التوحيد نفى الصفات عنه لشهادة كل موصوف انّه غير الصفة وشهادة كل صفة انها غير الموصوف وذلك انه لو فرض الاجزاء الحسية للواجب تعالى عن ذلك كما يلزم على القول بالتجسيم لكانت امّا قديمة واجبة او حادثة فأن كانت حادثة لزم حدوث البارى لأنّ المركب من الحوادث حادث وان كانت واجبة لزم تعدد الواجب وهذا هو عين الشرك

---

(١) هذا خلاف تصريحات ابن عبد الوهّاب التى تقدم ذكرها من اثبات اليدين والشمال وغيرها ١٢

مضافاً الى ما يلزم من احتياج الواجب الى الآلات والاجزاء الذى هو شأن الحدوث واحتياجه الى المكان والحيز وغير ذلك من مفاسد شتى تنبعث من هذا القول المردود واما الآيات والأخبار التى يستدل بها على هذا المدعى فيتعين صرفها الى معنى لا يستلزم مخالفة ما ثبت بضرورة الدين فقوله تعالى الرحمن على العرش استوى اى غلب عليه او قصده واليد بمعنى القوة ويبقى وجهه اى اثار قدرته وكم له من نظائر فى كلام العرب لا تخفى على من ضرب فى هذه الصناعة بحق وجرى فيها على عرق ،

واما حديث حبر اليهود فلو تأملته وجدته حاسما لمواد هذا الأعتقاد ففيه انه لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحبر مقالته ضحك حتى بدت نواجذه ثم قرأ « وما قدروا الله حق قدره » فأن هذا الضحك لم يكن لتصديق قوله بل كان للرد عليه (١) وبيان بطلانه وله نظائر فى

---

(١) قال ابن القيم فى كتابه زاد المعاد وكان ضحكه (ص) مما يضحك منه وهو مما يتعجب من مثله ويستغرب وقوعه ويستندر وللضحك اسباب عديدة هذه (احدها والثانى) ضحك الفرح وهو ان يرى ما يسره او يباشره (والثالث) ضحك

سيره صلى الله عليه وآله ففي جامع الأصول وسنن ابي داود عن عائشة قالت قدم رسول الله ص عن غزوة تبوك او حنين وفي شنوتها ستر فهب ريح فكشف ناحية الستر عن بنات عائشة فقال ما هذا يا عائشة قالت بناتي ورأى منهن فرسا له جناحان من رقاع فقال ما هذا الذي ارى في وسطهن قالت فرس قال ما هذا الذي عليه قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت اما سمعت ان لسليمان خيلاً له اجنحة قالت فضحك حتى رأيت نواجذه (انتهى) فكما ان هذا الضحك كان للرد على عائشة كما صرح به الشراح فكذا ذلك الضحك وان العقلاء اذا سمعوا ما يدفعه العقل بظاهر نظره اكتفوا بالضحك عن الرد عليه على ان النبي ص لم يكتف في رده على الضحك بل قال ما قدروا الله حق قدره وذلك صريح في الرد عليه اي ما

الغضب وهو كثيرا ما يعتري الغضبان اذا اشتد غضبه وسببه تعجب الغضبان مما اورد عليه الغضب وشعور نفسه بالقدرة على خصمه وانه في قبضته وقد يكون ضحكه لملكه نفسه عند الغضب واعراضه عن من اغضبه وعدم اكتراثه به انتهى ١٢

قدروا الله حق قدره حيث فرضوه جسماً وقدروا له

اعضاء كأعضاء المخلوق فتدبر ولا تلتفت الى ما

تنسجه عناكب الباطل (فانّ أوهن البيوت لبيت

العنكبوت) ؟

ولا غرو فانّ قدوته فى هذا القول واقوال اخر تأتيك من بعد

هو ابو العباس احمد بن تيمية الحرانى المتوفى سنة ٧٢٨ هجريّة

فانّه اوّل من زقا بهذا القول وصنف فى ذلك رسائل مستقلة

كالعقيدة الحمويّة والواسطية وغيرهما واحتذاه فى ذلك حذو

القذّة بالقذّة تلميذه ابن القيم الجوزيّة وابن عبد الهادى وغيرهما

وقد كفّره علماء الاسلام وحكموا بوجوب قتله وهدر دمه

فحبس مدّة طويلة حتى اخذ سبيله مسجوناً

ويهمّنا ان نذكر فى هذا المقام بعض تصريحات علماء الاسلام

فيه ليطلع الناظر بها على حال ابن عبد الوهّاب واتباعه الّذين قالوا

بقوله واتبعوه مطابقة النعل بالنعل فقد قال العلامة ابن حجر

المكى فى كتابه الجوهر المنظم فى زيارة قبر النبى المكرم ص ١٣

ماوقع من ابن تيمية ممّا ذكر وان كان عثرة لاتقال ابدا ومصيبة

يستمر عليها شومها دواما وسرمدا ليس بعجيب فانه سوّلت

له نفسه وهواه وشيطانه انه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب وما درى المحروم انه اتى باقبح المعائب اذ خالف اجماعهم في مسائل كثيرة وتدارك على ائمتهم سيما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة شهيرة واتى من نحو هذه الخرافات بما تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع حتى تجاوز الجناب الأقدس المنزّه عن كل نقص والمستحق لكل كمال انفس فنسب اليه العظائم والكبائر وخرق سياج عظمته وكبرياء جلالته بما اظهره للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين والمتأخرين حتى قام عليه علماء عصره والزموا السلطان بقتله او حبسه وقهره فحبسه الى ان مات وخمدت تلك البدع فزالت تلك الظلمات ثم انتصر له اتباع لم يرفع الله لهم رأساً ولم يظهر لهم جاهاً ولا بأساً بل ضربت عليهم الذلّة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون انتهى كلامه

(وقال) في اشرف الوسائل الى فهم الشمائل في بيان ارخاء العمامة بين الكتفين ما هذا لفظه (قال) قال ابن القيّم عن شيخه ابن تيمية انه ذكر شيئاً بديعاً وهو انه صلى الله عليه وسلم لما رأى ربّه واضعاً يده بين كتفيه اكرم ذلك الموضع بالعذبة (قال العراقي)

ولم نجد لذلك اصلاً (اقول) بل هذا من قبيل رأيهما وضلالهما اذ هو مبنى على ما ذهبا اليه واطالا فى الاستدلال له والحط على اهل السنة فى نفيهم له وهو اثبات الجهة والجسمية لله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيرا (ولهما) فى هذا المقام من القبايح وسوء الأعتقاد ما يصم عنه الاذان ويقضى عليه بالزور والكذب والضلال والبهتان قبحهما الله وقبح من قال بقولهما والأمام احمد واجلاء مذهبه مبرؤن عن هذه الوصمة القبيحة كيف وهى كفر عند كثيرين انتهى ؛

وقال المولوى عبد الحليم الهندى فى حل المعاقد حاشية شرح العقائد كان تقى الدين بن تيمية حنبلياً لكنه تجاوز عن الحد وحاول اثبات ما ينافى عظمة الحق تعالى وجلاله فأثبت له الجهة والجسم وله هفوات اخر كما يقول انّ امير المؤمنين سيدنا عثمان رضى الله عنه كان يحب المال وانّ امير المؤمنين سيدنا على رضى الله عنه ما صح ايمانه فانّه أمن فى حال صباه وتفوّه فى حق اهل بيت النبيّ صلى الله عليه وعليهم مالا يتفوّه به المؤمن المحق وقد ورد الأحاديث الصحاح فى مناقبهم فى الصحاح وانعقد مجلس فى قلعة جبل وحضر العلماء الأعلام والفقهاء العظام ورئيسهم

كان قاضي القضاة زين الدين المالكى وحضر ابن تيمية فبعد
القيل والقال بهت ابن تيمية وحكم قاضي القضاة بحبسه وكان
ذلك سنة سبع مائة وخمس من الهجرة ثم نودى بدمشق وغيره
من كان على عقيدة ابن تيمية حلّ ماله ودمه كذا فى مرآة
الجنان للأمام ابى محمد عبد الله اليافعى ثم تاب وتخلص من
السجن سنة سبع مائة وسبع من الهجرة وقال انى اشعرى ثم
نكث عهده واظهر مكنونه ومرموزه فحبس حبسا شديداً
مرّة ثانية ثم تاب وتخلص من السجن واقام فى الشام وله هناك
واقعات كتبت فى كتب التواريخ وردّ اقاويله وبين احواله
الشيخ ابن حجر فى المجلد الأوّل من الدّرر الكامنة والذهبى
فى تاريخه وغيرهما من المحققين هذا كلام وقع فى البين والمرام
انّ ابن تيمية لما كان قائلا بكونه تعالى جسماً قال بانّه ذومكان
فانّ كل جسم لابدّ له من مكان على ماثبت ولما ورد فى الفرقان
الحميد (الرّحمن على العرش استوى) قال انّ العرش مكانه ولما
كان الواجب ازليا عنده واجزاء العالم حوادث عنده
فاضطرّ الى القول بأزليّة جنس العرش وقدمه وتعاقب
اشخاصه الغير المتناهية فمطلق التمكن له تعالى ازلى

والتمكنات المخصوصة حوادث عنده كما ذهب المتكلمون الى حدوث التعلقات انتهى

وفى مرآة الجنان لليافعى فى ذكر فتنة ابن تيمية وكان الّذى ادعى عليه بمصر انّه يقول انّ الرّحمن على العرش استوى حقيقة وانّه تكلم بحرف وصوت ثم نودى بدمشق وغيرها من كان على عقيدة ابن تيمية حلّ ماله ودمه انتهى

وذكر ابو الفداء فى تاريخه فى سوانح سنة ٧٠٥ ما هذا لفظه وفيها استدعى تقىّ الدين احمد بن تيمية من دمشق الى مصر وعقد له مجلس وامسك واودع الأعتقال بسبب عقيدته فانّه كان يقول بالتجسيم انتهى

وقد عثرنا على بعض عبارات المنشور الّذى كان صدر من السلطان فى هذا الرّجل وهى هذه وكان الشقى ابن تيمية فى هذه المدّة قد بسط لسان قلمه ومدّ عنان كلمه وتحدث فى مسائل القرآن والصفات ونص فى كلامه على امور منكرات وتكلم فيما سكت عنه الصحابة والتابعون وفاه بما يحجه السلف الصالحون واتى فى ذلك بما انكره أئمة الأسلام وانعقد على خلافه اجماع العلمآء الأعلام واشتهر من فتاواه فى البلاد ما استخف به عقول

العوام وخالف في ذلك علمآء عصره وفقهآء شامه ومصره وبعث رسائله في كل مكان وسمّى كتبه اسماء ما انزل الله بها من سلطان ولما اتصل بنا ذلك وما سلكه من هذه المسالك وما اظهروه من هذه الأحوال واشاعوه وعلمنا انّه استخف قومه فاطاعوه حتى اتصل بنا انهم صرّحوا في حق الله بالحرف والصوت والتجسيم فقمنا في حق الله مشفقين من هذا النبا العظيم الى اخر المنشور الطويل واذا حطت خبراً بما حكيناه علمت انّ عقيدة اثبات الصفات والتجسيم مما صرّح علمآء الأسلام بكونه كفرا وبذلك تعرف حال ابن عبد الوهّاب واتباعه القائلين بذلك ؟ هذه اقوال اساطين علمآء اهل السنة وجهابذتهم واما اصحابنا معشر الأمامية فانهم مطبقون على تكفير المجسمة كما يظهر لك من الروضة البهية والرياض والمسالك والجواهر وغيرها من الزبر فتحقق اجماع الامة والله اعلم بحقائق الأمور .

الباب الثاني

﴿ عقيدته في رسول الله صلّى الله عليه وآله ﴾

هو واتباعه يحسبون انّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعد موته

فى قبره كسائر الموتى لا يسمع ولا يجيب ولا له اختيار ان يزور من يشاء فى المشرق والمغرب وانّه يحرم شدّ الرّحال الى زيارة قبره والتوسل به الى الله والدعاء عند قبره ومن قال يارسول الله ص اوقال انّى اتوسل بك الى الله او خاطبه بشيء بعد موته فقد حلّ ماله ودمه الى غير ذلك من الهفوات ومستنده فى ذلك بعض الآيات والأخبار الغير الدالة على مدعاه وانّ المسلمين مطبقون سلفهم وخلفهم على حياة النبيّ ص لا كحياة سائر الشهدآء لّذين نطق القرآن بحيوتهم بل اكمل بمدارج منها واّما القول بحرمة شدّ الرحال الى زيارة قبره فمستند الى حديث رووه قال رسول الله ص لا تشدّ الرحال الا الى ثلاثة مساجد والأستدلال به على مرادهم غلط ظاهر فانّ مفهوم الحديث كما يظهر على من له ادنى المام بالعربية هو انه لا تشدّ الرّحال من المساجد الا الى ثلاثة مساجد فانّ المستثنى منه يجب ان يكون من جنس المستثنى الاترى انه لو قال احد انّى ما رأيت فى عمرى الاّ مسجد فلان علم بقرينة المقام انه يريد انى ما رأيت مسجداً الاّ مسجد فلان واين من ذلك النهى عن شدّ الرّحال لزيارة قبر النبي ص كيف ولولا ذلك

لكان شد الرحال من بلد الى بلد لأجل التجارة او التنزه او غرض اخر محظورا من هذا الحديث ولا يخفى سخافته مع ان النبي صلى الله عليه وآله سافر مراراً الى الشام لتجارة اموال خديجة رضي الله عنها فتبصر ولا تكن من الغافلين وتشهد بذلك رواية الامام احمد بلفظ لا تشد المطي الى مسجد يذكر الله فيه الا الى ثلاث مساجد كما نقلها السيد مصطفى نور الدين الحسيني فى كتابه خلاصة المقال فى شد الرحال (ولا يخفى) ان الأحاديث يفسر بعضها بعضاً والمطلق يحمل على المقيد

ولم يزل المسلمون وعلمائهم عصراً بعد عصر وجيلاً بعد جيل يتعاهدون زيارة قبر النبي ص ويهتمون بذلك وما انكر قط منكر فقد ثبت اجماع المسلمين ومن خالفهم بعد ذلك من الناس فقد خرج من الجماعة ونكب عن الطريقة المثلى ويدل عليه بعض الأخبار ايضاً ففى انسان العيون لعلى بن برهان الدين الشافعى قال لما مات رسول الله ص خرج بلال الى الشام وقال لن ارى المدينة بعد وفاة رسول الله ص ولم يزل بها حتى رأى ذات ليلة فى المنام رسول الله ص يقول يا بلال تركت جوارنا واقمت فى الشام فمالك لا تجيئ الى زيارتنا

فلما انتبه من رقدته شدّ رحل السفر واتى المدينة فزار قبر النبي ص الحديث وقد ثبت انّ من رأى رسول الله ص فقد رآه فأن الشيطان لا يتمثل بصورته (١) فأذا قد تحقق جواز شدّ الرّحل لزيارة القبر بنص النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولا مجال لأحد في انكاره :-

وانّ ابن عبد الوّهاب قد اخذ هذا القول ايضاً عن سلفه ابن تيمية وابن القيم فانهما اوّل من ابرزا هذا القول وقد اطالا في الأستدلال على ذلك وهـذا من جملة الأسباب الّتى كفرهما بها عامّة علمـاء المسلمين وصنفوا في ردّه مصنفات مستقـلة ﴿ منها ﴾ شفاء السقام في زيارة خير الأنام لقاضي قضاة المسلمـين في القرن الثامن الشيخ الحافظ تقيّ الدين الحسن السبكي يقول في مقدّمته انّ من اعظم القرب الى ربّ العالمين زيارة سيد المرسلين والسفر اليها من اقطار الأرضين كما هو معروف بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على ممرّ السنين وانّ ممّا القى الشيطان في هذا الزّمان على لسان بعض المخذولين التشكيك في ذلك وهيهات ان يدخـل ذلكّ في

(١) كما اخرج ابن ماجة في سننه اخباراً عديدة في هذا المعنى ١٢

قلوب الموحدين وانما هى نزغة من مخذول لا يرجع وبالها الا عليه ولا يترتب عليها الاّ ما القى بيده اليه شريعة الله محكمة ظاهرة وشبه الباطل على شفا جرف هائرة انتهى

وقال فى موضع اخر من كتابه هذا القسم يظهر من فحوى كلام ابن تيمية انه يلحقه بالقسم الثالث ولا دليل له على ذلك بل نحن نقطع ببطلان كلامه فيه وانّ المعلوم من الدين وسيرة السلف الصالحين التبرك ببعض الموتى من الصالحين فكيف بالانبيآء والمرسلين ومن ادعى انّ قبور الانبياء وغيرهم من الموتى المسلمين سواء فقد اتى امراً عظيماً نقطع ببطلانه وخطأه وفيه حط لرتبة النبىّ ص الى درجة من سواه من المؤمنين وذلك كفر بيقين فانّ من حط رتبة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم عمّا يجب له فقد كفر فأن قال انّ هذا ليس بحط ولكنه منع من التعظيم فوق ما يجب له قلت هذا جهل وسوء ادب وقد تقدم فى اول الباب الخامس الكلام فى ذلك ونحن نقطع بانّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يستحق من التعظيم اكثر من هذا المقدار فى حياته وبعد موته ولا يرتاب فى ذلك من فى قلبه شيء من الايمان انتهى

(ومنها) الجوهر المنظم فى زيارة قبر النبي المكرم للعلامة ابن حجر الهيتمي المكيّ قال فى موضع منه فان قلت كيف تحكى الاجماع السابق على مشروعية الزيارة والسفر اليها وطلبها وابن تيمية من متأخرى الحنابلة منكر لمشروعية ذلك كله كما رواه السبكى فى خطه واطال اعنى ابن تيمية فى الاستدلال لذلك بما تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع بل زعم حرمة السفر لها اجماعا وانه لا تقصر فيه الصلوة وانّ جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعة وتبعه بعض من تأخر عنه من اهل مذهبه قلت من ابن تيمية حتى ينظر اليه او يعوّل فى شيء من امور الدين عليه وهل هو الا كما قال جماعة من الأئمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة وحججه الكاسدة حتى اظهروا عوار سقطاته وقبائح اوهامه وغلطاته كالعزّ بن جماعة عبد اضله الله واغواه والبسه رداء الخزى وارداه وبوّأه من قوة الأفتراء والكذب ما اعقبه الهوان واوجب له الحرمان ولقد تصدّى شيخ الأسلام وعالم الأنام المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وامامته التقيّ السبكي قدس الله روحه ونوّر ضريحه للردّ عليه فى تصنيف مستقل افاد فيه واجاد فاصاب واوضح بباهر حججه طريق الثواب فشكر الله مسعاه وادام عليه شآبيب

رحمته ورضاه انتهى ما اردنا نقله ،

(ومنها) منتهى المقال فى شرح حديث لا تشد الرحال للمفتى صدر الدين قال فيه قال الشيخ الأمام الحبر الهمام سند المحدثين الشيخ محمد البرلسي فى كتابه اتحاف اهل العرفان برؤية الانبياء والملائكة والجان وقد تجاسر ابن تيمية الحنبلي عامله الله تعالى بعدله وادّعى انّ السفر لزيارة قبر النبي ص حرام وانّ الصلوة لا تقصر فيه لعصيان المسافر به واطال فى ذلك بما تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع وقد عاد شوم كلامه عليه حتى تجاوز الجناب الأقدس المستحق لكل كمال انفس وخرق سياج الكبرياء والجلال وحاول اثبات ما ينافى العظمة والكمال بادّعائه الجهة والتجسيم ونسبة من لم يعتقدهما الى الضلالة والتأثيم واظهر هذا الأمر على المنابر وشاع وذاع ذكره بين الاكابر والأصاغر وخالف الائمة المجتهدين فى مسائل كثيرة واستدرك على الخلفاء الرّاشدين باعتراضات سخيفة حقيرة فسقط من اعين علماء الامة وصار مثلة بين العوام فضلاً عن الأئمة وتعقب العلماء كلماته الفاسدة وزيّفوا حججه الدّاحضة الكاسدة واظهروا عوار سقطاته وبيّنوا قبائح اوهامه وغلطاته انتهى ؛

(وقال) احمد شهاب الدين الخفاجي المصري في نسيم الرياض شرح شفاء قاضي عياض بعد ذكر قوله ص لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد اعلم ان هذا الحديث هو الذي دعى ابن تيمية ومن تبعه كابن القيم الى مقالته الشنيعة التي كفروه بها وصنف فيها السبكي مصنفاً مستقلا وهي منعه زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وشد الرحال اليه وهو كما قيل ،
لمهبط الوحي حقاً ترحل النجب * وعند ذاك المرجي ينتهي الطلب
فتوهم انه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغي ذكرها فانها لا تصدر عن عاقل فضلاً عن فاضل انتهى ،

وقال الملا على القاري في المجلد الثاني من شرح الشفا قد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبي ص كما افرط غيره حيث قال كون الزيارة قربة معلوم من الدين وجاحده محكوم عليه بالكفر ولعل الثاني اقرب الى الصواب لان تحريم ما اجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفراً لانه فوق تحريم المباح المتفق عليه في هذا الباب انتهى ؛

وفي كشف الظنون قد بالغ العلاء في رده حتى صرح بكفر من اطلق عليه شيخ الاسلام انتهى .

وبعد ما تلونا هذه العبارات عليك اتضح لديك انّ اكثر العلماء متفقون على تكفير ابن تيمية بذلك القول وامّا الشيخ ابن حجر المكى الهيتمى فقد قال فى الدرّر الكامنة افترق الناس فيه شيعاً فمنهم من نسبه الى التجسيم لما ذكر فى العقيدة الحموية والواسطية وغيرهما من ذلك بقوله انّ اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقية لله وانه مستوٍ على العرش بذاته فقيل له يلزم من ذلك التحيز والأنقسام فقال انا لا اسلّم انّ التحيز والأنقسام من خواص الأجسام فالزم بانه يقول بالتحيز فى ذات الله ومنهم من ينسبه الى الزندقة لقوله انّ النبى صلى الله عليه وآله لا يستغاث به وانّ فى ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وآله وكان اشدّ الناس عليه فى ذلك النورُ البكرى فانه لما عقد له المجلس بسبب ذلك (قال) بعض الحاضرين يعزّر فقال البكرى لا معنى لهذا القول فانه ان كان تنقيصاً يقتل وان لم يكن تنقيصاً لا يعزّر ومنهم من ينسبه الى النفاق لقوله فى علىّ ما تقدّم ولقوله انه كان مخذولاً حيث ما توجه وانه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها وانما قاتل للرّياسة لا للديّانة ولقوله انه كان يحب الرّياسة وانّ عثمان كان يحب المال ولقوله ابوبكر اسلم شيخاً يدرى ما يقول وعلىّ اسلم صبياً والصبى لا يصح اسلامه

على قول ولكلامه في قصة خطبة بنت ابي جهل وما نسبه من الثناء على قصة ابي العاص ابن الربيع وما يوخذ من مفهومها فانه شنع في ذلك فالزموه بالنفاق لقوله ص لا يبغضك الا منافق ونسبه قوم الى انه يسعى في الامامة الكبرى فانه كان يلهج بذكر ابن تومرت ويطريه فكان ذلك مولد الطول سجنه وله وقائع شهيرة وكان اذا حوقق والزم يقول لم ارد هذا انما اردت كذا فيذكر احتمالا بعيداً انتهى ؛

وعلى اي حال فقد ثبت بما لا مزيد عليه ان استحباب السفر لزيارة النبي ص مما اطبق عليه المسلمون ومنكره راد على ضروري الدين وقد ضربنا صفحا عن ذكر الاحاديث الواردة في هذا الباب لانها معروفة ومذكورة في الصحاح والمسانيد .

(واما) التوسل بالنبي ص الى الله تعالى والدعاء عند قبره فهو ايضا مأثور عن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين المشهود لهم بالخير في العهد الذي ورد في الصحاح انه خير القرون ثم الذي يليه ثم الذي يليه الى زماننا هذا وها كم بعض شواهده من سيرة الصحابة والتابعين (فمنها) توسل ام المؤمنين عائشة بقبر النبي ص للاستسقاء كما في بهجة المحافل لعماد الدين العامري ان

اهل المدينة قحطوا قحطا شديداً فشكوا الى عائشة قالت انظروا قبر النبي رسول الله ص فاجعلوا منه كوى الى السماء حتى لايكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا امطارا شديداً حتى نبت العشب وسمنت الأبل (ومنها) ما فى شرح دلائل الخيرات وهذا لفظه (روى) عن افضل الصديقين ابى بكر الصديق يجيء عند قبر النبي ص فيقول يا محمد انى اتوسّل اليك (ومنها) ما ذكر الحافظ المحدّث ابن عبد البرّ النمري القرطبي المالكى فى كتابه الأستيعاب لأسماء الأصحاب انّ الناس اجدبوا فى عهد عمر فاتى رجل من المسلمين (١) على قبر النبيّ ص وقال يا رسول الله استسق لأمّتك فانهم قد هلكوا ولم ينكر عليه احد (ومنها) قصة سواد بن قارب التى رواها الطبرانى فى الكبير وفيها انّ سواد بن قارب انشد رسول الله ص قصيدته التى فيها

(فاشهد انّ الله لا ربّ غيره * وانك مأمون على كل غائب)
(وانك ادنى المرسلين وسيلة * الى الله يابن الاكرمين الاطائب)
(فمرنا بما يأتيك ياخير مرسل * وان كان فيما فيه شيب الذوائب)

---

(١) وفى رواية البيهقى وابن ابى شيبة انّ الرّجل هو البلال بن الحرث وهو من الصحابة ١٢

(وكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة * بمغن فتيلا عن سواد بن قارب)

فلم ينكر النبيّ ص قوله وانك ادنى المرسلين وسيلة الى الله ولا قوله كن لى شفيعاً الخ (ومنها) ما فى الأستيعاب انه وقع مشاجرة بين بنى عامر فى البصرة فبعث عثمان ابا موسى الاشعرى اليهم فلما طلع عليهم صاحوا يا آل عامر فلما سمع النابغة الجعدى برزمع قومه فقال ابو موسى ماشانكم قال سمعت دعوة قومى فأجبتها فعزّره ابو موسى بسياط فهنا لك انشد النابغة اشعاراً من جملتها

(فيا قبر النبىّ وصاحبيه * الا يا غوثنا لو تسمعونا)

(الا صلىّ الهكم عليكم * ولا صلىّ على الامراء فينا)

وهذا النابغة من اجلّة صحابة النبىّ ص وقد دعاله رسول الله ص كما لا يخفى على المتتبّع البصير (١)

---

(١) واخبار التوسّل الواردة فى الصحاح والمسانيد كثيرة وكذا التبرّك باثار النبيّ ص واستدفاع الأذى بها منقول عن الصحابة والتابعين منها ماذكر فى المتن (ومنها) توسّل آدم على نبينا وآله وعليه السلام بنبيّنا ص كما ورد فى اخبار عديدة منها ما اورده الحاكم وصحّحه قال انّ آدم لمّا اقترف الخطيئة قال

وما ذثبت الأستغاثة والتوسل بقبر النبيّ ص من سيرة الصحابة الكبار فلا يجوز انكاره على الذين يدينون بقوله ص اصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم ويا ليت شعري ما بال هؤلآء القوم يزعمون انّ مذهبهم هو اتباع الكتاب والسنّة ثم يخالفون السنّة في غير واحد من المسائل

والمحدّثون من السلف كانوا لا ينكرون الدعاء على قبره (منهم) العلاّمة شمس الدين الجزري قال في الحصن الحصين ونعم ما قال ان لم يجب الدعاء عند النبيّ صلى الله عليه وسلم ففي ايّ موضع يستجاب انتهى وقال المحدّث الشيخ عبد الحق في رسالته جذب القلوب ما هذا لفظه .

يا ربّ اسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال يا آدم كيف عرفته قال لانّك لما خلقتني نظرت الى العرش فوجدت مكتوباً فيه لا اله الا الله محمد رسول الله فرأيت اسمه مقروناً مع اسمك فعرفته احب الخلق اليك (ومنها) ما رواه الطبراني في الكبير والأوسط وابن حبّان والحاكم وصحّحه عن انس بن مالك رضي الله عنه قال لما ماتت فاطمة بنت اسد رضي الله عنها وكانت ربّت النبي ص فجلس عند رأسها وقال رحمك الله يا امّي بعد امّي (الى ان قال)

« در ذيل مطالب وفوائد غرائب كه نزد استغاثه وطلب از مرقد منور سرور انبياء ص محتاجان ومسكينان را روى نموده است اخبار وآثار آمده »

فلما بلغوا اللحد حفره ص بيده واخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال (الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لامي فاطمة بنت اسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فانك ارحم الراحمين) (وروى) ابن ابى شيبة عن جابر رضي الله عنه مثل ذلك وكذا روى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما رواه ابو نعيم فى الحلية عن انس ذكر ذلك كله الحافظ السيوطى فى الجامع الكبير . ولا يخفى ان النبي ص لا يحتاج الى التوسل ولكنه تعليم لامته هذا (ومنها) استسقاء ابى طالب عم النبي رضي عنه به ص فلما سقي قال عدة ابيات منها :

(وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل)

(يلوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده فى نعمة وفواضل)

فارتضى ص هذه الأبيات بل ذكر ابا طالب بواسطة هذه الأبيات بعد موته مراراً رواه الحافظ السيوطى فى الخصائص

يعني انّ ما ظهر للمحتاجين والمساكين من نيل المطالب والفوائد الغرائب عند الاستغاثة والطلب من قبر النبي صلى الله عليه وسلم قد وردت فيه اخبار وآثار كثيرة انتهى .

(ومنها) ما ذكره السيوطي من استسقاء النبي ص الكبرى فلما نزل الغيث قام رجل من كنانة فقال

لك الحمد والحمد ممن شكر * سقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة * اليه واشخص منه البصر
اغاث به الله علينا مضر * وهذا العيان لذاك الخبر
وكان كما قاله عمه * ابو طالب ابيض ذو غرر
فلم تك الا كـكف الرداء * او اسرع حتى رأينا الدرر
به الله يسقي صوب الغمام * ومن يكفر الله يلقى الغير

فقال النبي ص ان يك شاعر يحسن فقد احسنت فانظر الى قوله . سقينا بوجه النبي المطر ، وعدم انكار النبي ص على ذلك بل استحسانه له (ومنها) ما اخرجه البخاري في تاريخه والبيهقي في الدلائل وصححه وابو نعيم في المعرفة عن عثمان بن حنيف انّ رجلاً ضريراً اتى النبي ص فقال ادع الله تعالى لي ان يعافيني قال ان شئت اخرت ذلك ويؤخر لك وان شئت دعوت الله قال فادعه

وحكى القاضي عياض المالكي في الشفاء عن الامام مالك في حكاية مناظرة الخليفة ابي جعفر المنصور العباسي مع الامام مالك قال قال له الخليفة استقبل القبلة ام الوجه الشريف فقال له الامام

فامره ان يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء (اللهم اني اتوجه اليك بنبيك محمد ص نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه فيقضيها لي اللهم شفعه فيّ) ففعل الرجل فقام وقد ابصر (ومنها) ما اخرج البيهقي وابو نعيم في المعرفة عن ابي امامة بن سهل بن حنيف ان رجلاً كان يختلف الى عثمان بن عفان في حاجة وكان عثمان لا يلتفت اليه ولا ينظر في حاجته فلقي عثمان بن حنيف فشكى اليه ذلك فقال له ايت الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ركعتين ثم قل (اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيك محمد ص نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي فيقضي لي حاجتي) واذكر حاجتك ثم رح حتى اروح فانطلق الرجل وصنع ذلك ثم اتى باب عثمان بن عفان فجاء البواب فأخذ بيده فادخله على عثمان فأجلسه معه على الطنفسة فقال انظر ما كانت لك من حاجة (ومنها) ما في دلائل النبوة للحافظ المحدث الكبير ابي نعيم احمد بن عبد الله الاصفهاني

وكيف تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام الى الله عزّ وجل الى آخر ما قال

(ونقل) العلاّمة المعاصر السيد ابراهيم الراوى الرّفاعى فى

عن انس انّ عمر بن الخطاب خرج يستسقى وخرج بالعباس معه يستسقى به ويقول (اللهّم كنا اذا قحطنا على عهد نبينا توسّلنا بنبينا وانّا نتوسّل اليك بعم نبينا فاسقنا) فسقوا —

(ومنها) ما فى الشفاء للقاضي عياض انّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خدلت رجله مرّة فقيل له اذكر احب الناس اليك فقال وا محمداه فانطلقت رجله ومن ذلك ثبت جواز الأستغاثة الى النبيّ ص عند الشدائد والبلوى بعد موته الظاهرى (ومنها) ما ذكره الأمام القسطلانى فى المواهب اللدّنية انّ صفية رضي الله عنها عمة النبيّ ص رثته بعد وفاته بأبيات اوّلها ،

الا يا رسول الله انت رجاءنا * وكنت بنا برّا ولم تك جافيا

فانظر الى قولها (انت رجاءنا) وعدم انكار الصحابة على ذلك على انها من الصحابيات ، (ومنها) ما فى صحيح مسلم عن اسماء بنت ابى بكر قالت هذه جبّة رسول الله ص فأخرجت جبّة طيالسية خسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج

الأوراق البغدادية عن المحدث الرملي ذكر في اداب زيارته صلى الله عليه وآله ما هذا لفظه ثم يأتي القبر الشريف مستقبلاً راسه مستدبرا القبلة ويبعد عنه نحو اربعة اذرع ويقف ناظراً الى اسفل

فقالت هذه كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها وكان النبي ص يلبسها فنحن نغسلها للمريض نستشفي بها انتهى . ذكره قدوة القوم ابن القيم في كتابه زاد المعاد (ومنها) ما ذكر ابن خلكان في تاريخه قال حكى سفيان الثوري عن طارق بن عبد العزيز عن الشعبي قال لقد رأيت عجبا كنا بفناء الكعبة انا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب ابن الزبير وعبد الملك بن مروان فقال القوم بعد ما فرغوا من صلاتهم ليقم رجل منكم فليأخذ الركن اليماني وليسأل الله حاجته فانه يعطى من ساعته قم ياعبد الله بن زبير فانك اول مولود ولد في الهجرة فقام واخذ بالركن اليماني ثم قال (اللهم انك عظيم ترجى لكل عظيم اسألك بحرمة عرشك وحرمة وجهك وحرمة نبيك عليه السلم ان لا تميتني حتى توليني الحجاز ويسلم علي بالخلافة

(وهذا) قليل من كثير ما لو اردنا استيفاء ذكره لخرج الكتاب عن حده ولا يمكن ان نقدح في بعض ما ذكرنا سابقاً بان ذلك

ما يستقبله ويسلّم عليه لخبر ما من احد سلّم عليّ الاّ ردّ الله روحي حتى اردّ عليه السلام واقول السلام السلام عليك يا رسول الله ولا يرفع صوته تأدباً كما كان في حياته ثم يتأخر الى جهة يمينه قدر

في حين الحياة ولا ننكره وانما الكلام في التوسّل به بعد الممات فانّه مدفوع اوّلا بغير واحد ممّا ذكرنا سابقاً من نظائر التوسل بعد الموت وثانياً انّ النبيّ ص لا يموت حقيقة ابداً بل هو حيّ بعد موته الظاهريّ يسمع ويجيب ومسئلة حياة النبيّ ص وان اغمضنا النظر عن تفصيلها في هذا المختصر ولكن القول المجمل هو انها مجمع عليها بين اهل الحديث والعلم ويدل عليها ما ورد في الصحاح من الأخبار المعتبرة المعتضدة بقول الله تعالى (ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله امواتا) فانّ مرتبة النبيّ ص لا تقصر عن مرتبة سائر الشهداء بل فوق ذلك بمراتب وعن ابى الدرداء قال قال رسول الله ص اكثروا الصلوة عليّ يوم الجمعة فانّه مشهود تشهده الملائكة وانّ احداً لن يصلي عليّ الّا عرضت عليّ صلوته حتى يفرغ منها قال قلت وبعد الموت قال وبعد الموت انّ الله حرّم على الأرض ان تأكل اجساد الأنبياء فنبيّ الله حي يرزق اخرجه الامام الحافظ ابن ماجة في سننه

ذراع فيسلم على ابى بكر ثم يتأخر قدر ذراع فيسلّم على عمر إلى ان قال ثم يرجع الى موقفه الأول قبال وجهه ص ويتوسل به فى حق نفسه ويستشفع به الى ربّه انتهى ما اردنا نقله

وبمعناه احاديث عديدة فى الخصائص الكبرى للسيوطى ودلائل النبوّة للحافظ ابى نعيم الأصبهانى وقال المحدّث السندى فى حاشيته على سنن ابن ماجة شرحا للحديث المتقدّم هذا لا ينبغى ان يشك فيه فقد جاء مثله فى حق الشهدآء فكيف الأنبياء وقد جاء فى حياة الأنبيآء احاديث (من جملتها) انّه ص رأى موسى يصلى فى قبره وغير ذلك انتهى . ولمّا ثبت حياة النبىّ ص فالأخبار الناطقة بالتوسّل فى حياته تدل على المطلب كما لا يخفى ومن تضاعيف ما اوردناه يعلم استحسان التبرك بآثار النبىّ ص ولا يخفى انّ عبد الله بن عمر هو الذى اقتفى آثار النبىّ والمواضع التى صلى فيها ولو مرّة واحدة فبنيت عليها المساجد كما ذكره السمهودى فى وفاء الوفاء وانّ ابن القيم ذكر فى كتابه زاد المعاد مستطرداً بذكر اسمعيل وامه هاجرة يقول وانّ عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم الى ذبح الولد آلت الى ما آلت اليه من جعل آثارهما ومواطئ اقدامهما مناسك لعباده المؤمنين

(وقال) القسطلاني في المواهب اللدنية التوسل به ص في حياته وبعد وفاته اكثر من ان يحصى او يدرك باستقصاء وقد انكشف لديك ايها الناظر بهذا البيان حقيقة قوله ان من

ومتعبدات لهم الى يوم القيامة انتهى ؛ واذا كانت آثار اسمعيل وهاجر لاجل مامسهما من الاذى مستحقة لجعلها مناسك ومتعبدات فاثار افضل المرسلين الذي يقول ما اوذي نبي قط كما اوذيت لا تقصر عن آثارهما وانكاره حط لمرتبته ص عن مرتبة سائر الأنبياء على ان الأشياء تتشرف بالأنتساب والاختصاص الى ذي شرف ففي الخصائص الكبرى للسيوطي في حال المعراج عن النبي ص يقول فركبت ومعي جبرئيل فسرت فقال انزل فصل ففعلت فقال اتدري اين صليت صليت بطيبة واليها المهاجرة ثم قال انزل فصل ففعلت فقال اتدري اين صليت صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى ثم قال انزل فصل ففعلت فقال اتدري اين صليت صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى انتهى وحيث ان مولد عيسى صالح لان يصلي فيه بواسطة الانتساب فمولد خاتم النبيين لا يصلح للهدم والمحو كما فعله الوهابيون وقد حكى الصديق حسن الحنبلي عن الامام مالك انه مع ضعفه وكبر سنه لم يركب قط في ارض المدينة وكان يقول لا اركب في مدينة فيها جثة رسول الله مدفونة انتهى . وهل هذا الا تعظيم لما انتسب اليه صلى الله عليه واله فتبصر ١٢ منه دام فضله

قال يارسول الله او توسل به او خاطبه بشيء بعد موته فهو كافر مهدور الدم فانه كفر بذلك صحابة النبي المكبار لاسيما ام المؤمنين عائشة وابا بكر الصديق والنابغة الجعدى ومن الائمة الامام مالك وهذا لا يجتمع مع دعوى كونه من اهل السنة والجماعة كما لا يخفى ،

ـــ الباب الثالث ـــ

(عقيدته فى الأولياء والصالحين)

كان منكراً لكراماتهم وزيارتهم والتوسل بهم الى الله ويقول ان من توسل بصالح او استشفع بولى اودعا الله به فقد اتخذه ألها واشركه فى العبادة وقد بينه هو واتباعه ببيانات طويلة لاطائل تحتها ونحن ننقل بعض عباراته فى هذا المقام ليكون الناظر على بصيرة من نفثات لسانه ثم نبطله كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف

قال بعد ذكر الآيات التى تدل على توحيد الله تعالى والرد على المشركين الذين يعبدون مع الله آلهة اخرى ماهذا لفظه ،

والشرك المراد بهذه الآيات ونحوها يدخل فيه شرك عباد القبور وعباد الانبياء والملائكة والصالحين فان هذا هو شرك

جاهلية العرب الذين بعث فيهم عبد الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يدعونها ويلتجئون اليها ويسألونها على وجه التوسل بجاهها وشفاعتها لتقربهم الى الله زلفى كما حكى الله ذلك عنهم في مواضع من كتابه كقوله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وقال تعالى (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما يفترون) ومعلوم ان المشركين لم يزعموا ان الانبياء والأولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والأرض واستقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ولو في خلق ذرة من الذرات قال تع (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) فهم معترفون بهذا مقرون به لا ينازعون فيه ولذلك حسن موقع الاستفهام وقامت الحجة بما اقروا به من هذه الجمل الخ ومجرد الاتيان بلفظ

الشهادة من غير علم بمعناها ولا عمل بمقتضاها لا يكون به المكلف
مسلماً بل هو حجة على ابن آدم خلافاً لمن زعم أن الايمان مجرد
الاقرار كالكرامية ومجرد التصديق كالجهمية وقد اكذب
(كذا) الله المنافقين فيما اتوا به وزعموه من الشهادة وسجل على
كذبهم مع أنهم اتوا بالفاظ مؤكدة بانواع التاكيدات قال تعـ
(اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم
انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) فاكدوا بلفظ
الشهادة وان المؤكدة واللام والجملة الأسمية فاكذبهم (كذا)
واكد تكذيبهم بمثل ما اكدوا به شهادتهم سواء بسواء وزاد
التصريح باللقب الشنيع والعلم البشيع الفظيع وبهذا تعلم ان
مسمى الأيمان لابد فيه من الصدق والعمل ومن شهد ان لا أله
الا الله وعبد غيره فلا شهادة له وان صلى وزكى وصام واتى
بشيء من اعمال الأسلام قال تعالى لمن آمن ببعض الكتاب ورد
بعضاً (افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) الآية
وقال تعـ (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا
بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون
ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) وقال تعـ (ومن يدع مع الله ألها

اخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه) الآية والكفر نوعان مطلق ومقيد فالمطلق ان يكفر بجميع ما جاء به الرّسول والمقيد أن يكفر ببعض ما جاء به الرّسول حتى انّ بعض العلماء كفر من انكر فرعا مجمعا عليه كتوريث الجدّ والأخت وان صلّى وصام فكيف بمن يدعو الصالحين ويصرف لهم خالص العبادة ولبها وهذا مذكور في المختصرات من كتب المذاهب الأربعة بل كفروا ببعض الألفاظ التى تجرى على السن بعض الجهال وان صلّى وصام من جرت على لسانه والصحابة رضي الله تعا عنهم كفّروا من منع الزكوة وقاتلوهم مع اقرارهم بالشهادتين والأتيان بالصلوة والصوم والحج فتشبيه عباد القبور بانهم يصلون ويصومون ويؤمنون بالبعث مجرّد تمميه على العوام وتلبيس لينفق شركهم ويقال باسلامهم وايمانهم ويأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون انتهى كما نقله الالوسي

(وفيه) مواقع للنظر (الأوّل) انه سمّى المؤمنين الذين يزورون قبور اولياء الله بعباد القبور وعبّاد الانبيآء والملائكة والصالحين فحق لنا ان نسأله اولا عن معنى العبادة فلا يخفى انّ العبادة كما هو الظاهر من لفظها هى الطرق المخصوصة لخضوع

العبد لمن يعتقده الها ولذلك خضوع المملوك لمالكه والولد لوالده والتلميذ لأستاده والجاهل للعالم لا يسمى عبادة ولكن خضوع المجوسية للنار والوثنية للأصنام والثنوية للشمس عبادة عند سائر اهل العرف فأذا تحقق كالشمس فى رابعة النهار ان اعتقاد الالوهية ماخوذ فى معنى العبادة وليس كل خضوع وتعظيم عبادة كيف وقد امر الله تعالى به فى مواضع متعددة من كتابه فقال فى حق الوالدين (واخفض لهما جناح الذل) وقال (من يعظم شعائر الله فأنها من تقوى القلوب) وقال (من يعظم حرمات الله فهو خير له) وامر رسوله ص فقال (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) واعظم من جميع ذلك انه امر الملائكة المقربين بالخضوع لابى البشر فقال (فأذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) وقال تع فى سورة يوسف (اذ قال يوسف لأبيه يا ابت انى رأيت احد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) ثم قال (ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقاً) الآية واذ علم ان كل خضوع وتعظيم ليس بعبادة بل العبادة هو الخضوع مع اعتقاد الالوهية فنقول ان المسلمين الذين يزورون

قبور الانبياء والصالحين ويعظمونها ويقبّلونها ويطوفون حولها ويتمسحون بها لا يخطر ببال احد منهم انّ هؤلاء الانبياء والصالحين او قبورهم آلهة يجب عبادتهم او شركاء لله سبحانه او ارباب من دون الله بل انهم يجدون من نفوسهم يقيناً لا مزيد عليه انّهم عباد مكرمون اطاعوا احكامه وامتثلوا اوامره وبذلوا فى سبيله واعلاء كلمته نفوسهم واموالهم فاكرمهم الله بجنته واعزّهم بجوار قدسه فلذلك هم مستحقون منّا بالتعظيم ومستاهلون للخضوع لهم والأستكانة فهذا التعظيم فى الحقيقة راجع الى الله وهو عين التوحيد والأستسلام لعزة الله وكذلك دعائهم ليس دعائهم بالذات بان يحسبوا كافين فى قضاء الحاجة وانجاح المأمول بل لمّا علمنا انّ لهم جاها ومنزلة عند الله عزّ وجل بسبب اطاعتهم وعبادتهم له واتباع سننه والجهاد فى سبيله فنسئلهم ان يدعوا الله لنا فيقضي الله حاجاتنا بواسطة دعائهم لنا كما قد جاء فى الحديث دعاء المرء مستجاب لاخيه وحيث انهم عندنا احياء كما قال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربّهم يرزقون) فنسألهم الدّعاء لنا وفق ذلك الحديث وليس فى ذلك من الكفر والشرك شيء

وقد روى عن جبير بن مطعم قال جاء اعرابى الى النبى ص فقال يا رسول الله نهكت الانفس وجاع العيال وهلكت الاموال فاستسق لنا ربك فانا نستشفع بالله عليك وبك على الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك فى وجوه اصحابه ثم قال ويحك اتدرى ما الله ان شأن الله اعظم من ذلك انه لا يستشفع بالله على احد وذكر الحديث رواه ابو داود وهذا الحديث يدل على ان التماس الدعاء الى الله والاستشفاع بالنبى على الله تعالى لا بأس به لتقرير الرسول ص الا ترى انه صلى الله عليه وآله انكر عليه قوله نستشفع بالله عليك ولم ينكر على قوله استسق لنا ربك ونستشفع بك على الله وحيث نطق الكتاب بحيوة الرسول بعد موته الظاهرى فلا فرق فى ذلك بين حيوته وموته وكذا غيره من المقربين والصالحين

واما الذى يحسبهم كفاة مستقلين فى دفع مكروه او جلب نفع واستغنى بذلك عن دعوة الله فنحن ايضاً نحكم بشركه فافهم واستقم

(الثانى) ان قياسه هؤلاء المؤمنين المخلصين على مشركى

عرب الجاهلية حيث قال هذا هو شرك جاهلية العرب الّذين بعث فيهم رسول الله فانهم كانوا يدعونها ويلتجؤن اليها ويستشفعون بها ويتقربون بها الى آخر ما قال مبنى على الجهل بل التجاهل عن آيات كتاب الله تع وما ذكر من اخبارهم وعقائدهم فانهم كانوا يعتقدون فى اصنامهم الّتى يخضعون لها انها ألهة وانها تقضي الحوائج وتدفع الاذى وتجلب النفع وقد استغنوا بذلك عن عبادة الله فقد حكى الله تع قولهم فى سورة الفرقان (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا) وقال تع فى سورة الصافات (يقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) وقال تع حكاية عن ابراهيم (اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكاً آلهة دون الله تريدون) ثم قال (فراغ الى آلهتهم فقال الا تأكلون) وقال تع فى سورة ص حكاية عن قولهم « اجعل الآلهة ألهاً واحداً انّ هذا لشيء عجاب » وقال تعالى فى سورة الفرقان « واذا قيل لهم اسجدوا للرّحمن قالوا وما الرّحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا » فعلم انّ اكثرهم كانوا لا يعلمون ألها سوى الاصنام التى كانوا يعبدونها وقال تعالى فى سورة الشعراء حكاية عن اهل جهنم « قالو وهم فيها يختصمون تالله

ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) فتحقق
انهم كانوا يعتقدون فى اصنامهم أنها مساوية لله تعالى عن ذلك
علواً كبيرا وقال تعالى فى سورة القصص (ويوم يناديهم
فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون) فثبت انهم كانوا
يزعمون فى اصنامهم انها شركاء لله وقال تعالى فى سورة الزخرف
حاكياً عنهم (وقالوا آلهتنا خير ام هو) وقال تعالى فى سورة الاحقاف
(قالوا اجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا) وحكى تعالى عنهم فى سورة
نوح (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا
يغوث ويعوق ونسرا) وفى سورة هود (وما نحن بتاركى
آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك
بعض آلهتنا بسوء) وقال تعالى (فما اغنت عنهم آلهتهم التى
يدعون من دون الله من شيء) وقال تعالى فى سورة الحجر (انا
كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله ألها آخر) وقال
تعالى فى سورة الأسراء (قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا
لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) وقال تعالى فى سورة مريم
(واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا) وقال تعالى فى
سورة الانبياء (اهذا الذى يذكر آلهتكم) وقال حاكياً

عنهم (قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) ثم قال (قالوا انت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم) الى ان قال (قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين) وقال تع فى سورة الفرقان (واتّخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم نفعاً ولا ضرّا ولا يملكون موتاً ولا حيوة ولا نشورا) وبالجملة فلا مجال للشك فى انّ هؤلاء المشركين كانوا معتقدين فى اصنامهم انّها آلهة وشركاء لله سبحانه تعالى عن ذلك علوّاً كبيرا بخلاف المسلمين المؤمنين الموحّدين الّذين يزورون قبور الأولياء والمقربين او الانبيآء والمرسلين فيخضعون لها من حيث كونهم عباد الله فظهر الفرق بين المؤمنين والمشركين ولكن لا يفقهه الّذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة .

(الثالث) قوله الكفر نوعان مطلق ومقيد فالمطلق ان يكفر بجميع ماجاء به الرّسول والمقيد ان يكفر ببعض ماجاء به الرّسول حتى انّ بعض العلمآء كفّر من انكر فرعاً مجمعاً عليه كتوريث الجدّ والأخت وان صلّى وصام فكيف بمن يدعو الصالحين ويصرف لهم خالص العبادة ولبها مردودٌ بما مرّ

فليس احد يدعو الصالحين وانما يسألهم الدعاء له الى الله ولا احد يعبدهم وانما يعظمهم لأجل كونهم عباداً مطيعين لله وبينهما بون بعيد .

واما قوله ان بعض العلماء كفر من انكر فرعاً مجمعاً عليه فمسلم اذا بلغ حد الضرورة في الدين ولذا كفر العلماء ابن تيمية واتباعه لأنهم انكروا استحباب زيارة النبي والسفر له المجمع عليه بين المسلمين وعليهم فقس من قال بمقالتهم في العصر الحاضر

(الرابع) قوله تشبيه عباد القبور بانهم يصلون ويصومون ويؤمنون بالبعث مجرد تعمية على العوام وتلبيس لينفق شركهم ويقال باسلامهم وانما هم ويأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون

﴿ اقول ﴾ قد اتضح لديك ان عباد القبور لفظ لا مصداق له في البين وان الذين يعبرون عنهم بعباد القبور هم المؤمنون الموحدون العابدون الساجدون لله نعم يمكننا ان نقول (وان كان الاحرى بنا ان لا نعبأ بامثال هذه الهلجات) ان ما نقله المتوهبون من ان اهل نجد يصلون ويصومون ويحفظون آيات الله واحاديث النبي ص ويعملون على السنة وكذا وكذا مجرد تعمية على العوام وتلبيس على الذين هم كالانعام ليروج

زيف قولهم وينفق كاسد سوقهم ويأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون ؟

— الباب الرابع —

﴿ عقيدته فى المسلمين من جميع اقطار الأرض ﴾

اعلم انّ اعتقاده هو انّ جميع المسلمين سوى اهل نحلته كفّار مشركون يحلّ اموالهم ودماءهم ويجوز اتخاذهم عبيداً او اماء ويستدل على ذلك بتلفيقات ما انزل الله بها من سلطان وقد سبق منّا الاشارة الى بعض منها ونذكرها ههنا مع ما فيها بعون الله وتوفيقه .

نقل الالوسي فى تاريخ نجد عن بعض علماء الوهابية (١) ما هذا لفظه ذكر طرف من معتقد الغالين فى القبور والصالحين ونذكر لك طرفاً من معتقد هؤلاء وحقيقة ماهم عليه من الدين ليعلم الواقف عليه اى الفريقين احق بالأمن ان كان الواقف ممّن اختصه الله بالفضل والمن ولئلا يلتبس الأمر بتسميتهم لكفرهم ومحالهم تشفعاً وتوسلاً واستظهاراً مع مافى

---

(١) هو الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب النجدى ١٢

التسمية من الهلاك المتناهي عند من عقل الحقائق . من ذلك محبتهم مع الله محبة تأله وخضوع ورجاء ودعاءهم مع الله في المهمات والملمّات والحوادث التي لا يكشفها ولا يجيب الدعاء فيها الّا فاطر الأرض والسموات والعكوف حول اجداثهم وتقبيل اعتابهم والتمسح بآثارهم طلباً للغوث واستجابة الدعوات واظهار الفاقة وابداء الفقر والضراعة واستنزال الغيوث والأمطار وطلب السلامة من شدائد البراري والبحار وسؤالهم تزويج الأرامل والأيامى واللطف بالضعفاء واليتامى والاعتماد عليهم في المطالب العالية وتاهيلهم لمغفرة الذنوب والنجاة من الهاوية واعطاء تلك المراتب السامية وجماهيرهم لما الفت ذلك طباعهم وفسدت به فطرهم وعزّ عنه امتناعهم لا يكاد يخطر ببال احدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين من قصد الله تعالى والانابة اليه بل ليس ذلك عندهم الّا الوليّ الفلاني ومشهد الشيخ فلان حتى جعلوا الذهاب الى المشاهد عوضاً عن الخروج للأستسقاء والأنابة الى الله تعالى في كشف الشدائد والبلوى كل هذا رأيناه وسمعناه عنهم فهل سمعت من جاهلية العرب مثل هذه الغرائب التي

ينتهى عندها العجب والكلام مع ذكىّ القلب يقظ الذّهن قوى الهمة العارف بالحقائق ومن لا يرضى نفسه بحضيض التقليد فى اصول الدّيانات والتوحيد وامّا ميت القلب بليد الذّهن وضيع النفس جامد القريحة ومن لا تفارق همّته التشبّث باذيال التقليد والتعلق على ما يحكى عن فلان وفلان فى معتقد اهل المقابر والتنديد فذاك فاسد الفطرة معتّل المزاج وخطابه محض عناء ولجاج . ومن وقف على كتب المتصوفة ومناقب مشائخهم وقف على ساحل بحر من ضلالهم وفى حاشية الشيخ البيجورى على السنوسيّة نقلا عن الدّردير عن الشعرانى ان الله وكل بقبر كلّ ولىّ ملكا يقضي حاجة من سأل ذلك الولىّ فقف هنا وانظر الى ما آل اليه افكهم فاين هذا من قوله تعالى (واذا سألك عبادى عنّى فانّى قريب اجيب دعوة الدّاع اذا دعان) وقوله (ادعوا ربّكم تضرّعاً وخفية) وقوله (فاذا فرغت فانصب والى ربّك فارغب) وقوله (امّن يجيب المضطرّ اذا دعاه) وقوله (وقال ربّكم ادعونى استجب لكم) واىّ حجة فى هذا الذى قاله الشعرانى لوكانوا يعلمون ولكن القوم اصابهم داء الامم قبلهم فنبذوا كتاب

الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . ومن هذا الجنس ما ذكره الشعراني في ترجمة شمس الدين الحنفي انه قال في مرض موته من كانت له حاجة فليأت قبري ويطلب ان اقضيها له فانما بيني وبينه ذراع من تراب وكل رجل يحجبه عن اصحابه ذراع من تراب فليس برجل وباب تصرف المشائخ والاولياء قد اتسع حتى سلكه جمهور من يدعي الاسلام من اهل البسيطة وخرقه قد هلك في بحاره اكثر من سكن الغبراء واظلته المحيطة حتى نسي القصد الاول من التشفع بالوساطة فلا يعرج عليه عندهم الا من نسي عهود الحمى فعاد الامر الى الشرك في توحيد الربوبية والتدبير والتأثير ولم يبلغ شرك الجاهلية الاولى الى هذه الغاية بل ذكر الله عز وجل انهم يعترفون له بتوحيد الربوبية ويقرون به ولذلك احتج عليهم في غير موضع من كتابه بما اقروا به من الربوبية والتدبير على ما انكروه من الألهية .. ومن ذلك وهو من عجيب امرهم ما ذكره حسين بن محمد النعيمي اليمني في بعض رسائله ان امرأة كف بصرها فنادت وليها اما الله فقد صنع ما ترى ولم يبق الا حسبك انتهى (وروى) ان بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحج

فذهبوا الى الضريح المنسوب الى الحسين رضي الله عنه بالقاهرة فاستقبلوا القبر واحرموا ووقفوا وركعوا وسجدوا لصاحب القبر حتى انكر عليهم سدنة المشهد وبعض الحاضرين فقالوا هذا محبة في سيدنا الحسين وكثير من علماء مصر يقول لا يدق وتد في القاهرة الا باذن السيد احمد البدوي وقد اشتهر ما يقع من السجود على اعتاب المشهد وقصد التبرك مع ما فيه لا يمنع حقيقة العبادة الصورية ؛ ومن المعروف عنهم شراء الولدان من الولي بشيء معين يبقى رسما جاريا يؤدى كل عام وان كانت امرأة فمهرها او نصف مهرها لانها مشتراة منه ولا مانع هذا الا مكابر في الحسيات وان فقد بعض انواعه في بعض البلاد فكم له من نظائر وهذا اشد واشنع مما ذكر جل ذكره عن جاهلية العرب بقوله (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) الآية وكذلك جعل السوائب باسم الولي لا يحمل عليها ولا تذبح وسوق الهدايا والقرابين الى مشاهد الأولياء وذبحها حباً للشيخ وتقربا اليه وهذا وان ذكر اسم الله عليه فهو اشد تحريماً مما ذبح اللحم وذكر عليه اسم غير الله فان الشرك في العبادة

اكبر من الشرك بالاستعانة. ومن ذلك ترك الاشجار والكلاء والعشب اذا كان بقرب المشهد وجعله من ماله (ومنها) الحج الى المشاهد فى اوقات مخصوصة مضاهاة لبيت الله فيطوفون حول الضريح ويستغيثون ويهدون لصاحب القبر ويذبحون وبعض مشائخهم يأمر الزائر بحلق رأسه اذا فرغ من الزيارة وقد صنف بعض غلاتهم كتابا سمّاه حج المشاهد (ومنها) التعريف فى بعض البلاد عند من يعتقدونه من اهل القبور فيصلون عشية عرفة عند القبر خاضعين سائلين والعراق فيه من ذلك الحظ الاكبر والنصيب الاوفى بل فيه البحر الذى لا ساحل له والمهامه التى لا ينجو سالكها ولا يكادون من نحوه عرف الكفر وظهر الشرك والفساد كما يعرف ذلك من له المام بالتواريخ ومبدأ الحوادث فى الدين ومن شاهد ما يقع منهم عند مشهد علىّ والحسين وموسى الكاظم ومحمد الجواد رضي الله عنهم عند رافضهم والشيخ عبد القادر والحسن البصرى والزبير وامثالهم رضى الله عنهم عند سنتهم من العبادات وطلب العطايا والمواهب والتصرفات وانواع الموبقات علم انهم من اجهل الخلق واضلهم وانهم فى غاية من الكفر والشرك ما وصل اليها من قبلهم ممن ينتسب الى

الاسلام والله المسؤل ان ينصر دينه ويعلى كلمته ويمحو هذه الضلالات حتى يعبد وحده فتسلم الوجوه له وتعود البيضاء كما كانت ليلها كنهارها انتهى كلامه ﴿ اقول ﴾ ما نسب الى المسلمين الزائرين لقبور الائمة والمشاهد من العقائد والأعمال فيه كثير من الكذب والبهتان والذى هو الصدق منه لا يستلزم شيئاً من الكفر والعصيان وها نحن نبينه بحول الله وقوّته فانّه خير من استعين فاعان ،

(امّا) محبتهم للنبيّ والأولياء والصالحين فذلك مسلم ولكنها ليست محبة مع الله بل هى محبة لله حيث انهم عباده المطيعون المجاهدون باموالهم وانفسهم فى سبيله الذابون عن دينه وشريعته ومحبتهم من اوجب الواجبات فى الدين وليست بكفر ولا شرك فقد قال الله تعالى فى كتابه (قل لا اسألكم عليه اجراً الّا المودّة فى القربى) فجعل اجر الرسالة محبة اهل القرابة فمن لم يات بها لم يؤدّ حق الرّسالة وبقيت ذمّته مشغولة للنبيّ ص الى يوم القيامة وقال تعالى (انّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرّحمن ودّاً) فاوجب بذلك مودّة المؤمنين العاملين الصالحات وقال حكاية عن خليله (ربّنا انى اسكنت من ذريّتى بواد

غير ذى زرع عند بيتك المحرّم ربّنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم) وقال فى سورة البرائة (قل ان كان آبائكم وابنائكم واخوانكم وازواجكم واموال ن اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله) فاتبع ذكر حب الله حب رسوله (وعن انس) أنّ رسول الله ص قال لايؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين اخرجه البخارى ومسلم ولابن ماجة فى سننه عن العباس بن عبد المطلب قال رسول الله ص ما بال اقوام يتحدّثون فاذا رأوا الرجل من اهل بيتى قطعوا حديثهم والله لايدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم منى وقال رسول الله ص فى علىّ ع يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله الحديث اخرجاه وقال له يا علىّ حبك ايمان وبغضك نفاق الى غير ذلك مما تواتر على الالسن واشتهر كالشمس بمرأى الاعين وحيث ذكر هذا محبتهم من اسباب الشرك علم انه واهل نحلته ليس فى قلوبهم شيء منها حتى بقدر بعوضة فما فوقها فانظر فى ايمانهم مع قوله ص لايؤمن احدكم حتى اكون فى قلبه الخ اما المسلمون المؤمنون فيرون حبهم فرضاً من الله ومن

اثار الايمان واما ما قال شارح كتاب التوحيد ان من تحقق محبة مشركي زماننا لالهتهم التي يسمونها بالأولياء يعلم يقيناً انهم يحبونها اكثر من محبتهم لله ويتصدقون لوجوهها بما لا يقدرون ان يتصدقوا بعشره في وجه الله (انتهى) فالله الله من كذبه وبهتانه ونزغات لسانه ان المسلمين الذين يسميهم مشركين لا يحبون اولياء الله الا بحب الله ولا يتصدقون لوجوههم شيئاً فانما يتصدقون كلها عنهم لوجه الله

والعجب ان هؤلاء القوم يكفرون الناس على زيارة الموتى والتصدق عنهم والتوسل بهم مع ان جهبذ علماء اهل السنة وامامهم الكبير فخر الدين الرازي يعد هذه الأمور مما اتفق عليه جميع الملل والأديان في سائر الأزمان وتقتضيه فطرهم السليمة وها هو يقول في تفسيره الكبير تفسيراً لقوله تعالى (ويسألونك عن الروح) في عداد ما استدل به على بقاء الروح الحجة العاشرة نرى جميع فرق الدنيا من الهند والروم والعرب والعجم وجميع ارباب الملل والنحل من اليهود والنصارى والمجوس والمسلمين وسائر فرق العالم وطوائفهم يتصدقون عن موتاهم ويدعون لهم بالخير ويذهبون الى زياراتهم ولولا انهم بعد موت

الجسد بقوا احياء لكان التصدق عنهم عبثاً فالاطباق على هذه الصدقة وعلى هذا الدعاء وعلى هذه الزيارة يدل على ان فطرتهم الأصلية السليمة شاهدة بان الأنسان شيء غير هذا الجسد وان ذلك الشيء لايموت بل يموت هذا الجسد انتهى

(وقوله) محبة تاله وخضوع ورجاء فاما الخضوع فنعم وهو عين الخضوع لعظمة الله تع واما الرجاء فهو الى الله بسبب دعائهم واما التاله فلا . (قوله) ودعائهم مع الله فى المهمات والملمات والحوادث التى لايكشفها ولا يجيب الدعاء فيها الا فاطر الارض والسموات (فيه) مامر من انه ليس احد يدعوهم لكشف المهم ودفع الملم بانفسهم وانما يسألهم الدعاء الى الله لكشف ضره وانجاح ماموله وشتان ما بينهما والتماس الدعاء الى الله من الصالحين والمقربين والتوسل بهم منقول عن الصحابة الكبار والأئمة الأخيار بلا نكير وقد روى فى ذلك اخبار عديدة عن النبي ص فقد روى ابن ماجه فى صحيحه عن ابى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال قال رسول الله ص من خرج من بيته الى الصلوة فقال اللهم انى اسألك بحق السائلين عليك واسألك بحق ممشاى هذا اليك فانى لم اخرج شرا ولا بطرا

ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك ان تعيذني من النار وان تغفرلي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت اقبل الله عليه بوجهه واستغفرله سبعون الف ملك وذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير (وروى) الحافظ ابو نعيم في عمل اليوم والليلة من حديث ابي سعيد بلفظ كان رسول الله ص اذا خرج الى الصلوة قال اللّهم انّي اسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا فانّي لم اخرج بطرا ولا اشرا ولا رياء ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك اسألك ان تعيذني من النار وان تدخلني الجنة ورواه البيهقي في كتاب الدّعوات من حديث ابي سعيد ايضاً فأنظر الى قوله ص (بحق السائلين عليك) وهل هذا الا توسّل واقسام يقضي الوهابية بكفر من فعله

وقال العلاّمة ابن حجر العسقلاني في كتابه المسمى بالخيرات الحسان في مناقب الامام ابي حنيفة النعمان في الفصل الخامس والعشرين انّ الامام الشافعي ايّام هو ببغداد كان يتوسّل بالامام ابي حنيفة رضي الله عنه يجيئ الى ضريحه يزور فيسلّم عليه ثم يتوسّل الى الله تع به في قضاء حاجته ـ

وذكر فى الصواعق المحرقة ان الامام الشافعى رضي الله عنه توسل باهل البيت النبوى حيث قال

آل النبى ذريعتى * وهم اليه وسيلتى
ارجو بهم اعطى غدا * بيدى اليمين صحيفتى

وروى العلامة ابن اثير الجزرى فى كتابه اسد الغابة قال استسقى عمر بن الخطاب بالعباس رضي الله عنهما عام الرمادة لما اشتد القحط فسقاهم الله تع واخصبت الارض فقال عمر هذا والله الوسيلة الى الله والمكان منه وقال حسان بن ثابت

سأل الأنام وقد تتابع جدبنا * فسقى الغمام بغرة العباس
عم النبى وصنو والده الذى * ورث النبى بذاك دون الناس
احيى الاله به البلاد فاصبحت * مخضرة الاجناب بعد الياس

ولما سقى الناس طفقوا يتمسحون بالعباس ويقولون هنيئاً لك ساقى الحرمين انتهى (وفى رواية) الحافظ عن ابن عباس ان عمر قال اللهم انا نستسقيك بعم نبينا ونستشفع بشيبته فسقوا انتهى

ومن هنا يتضح ان ادخال المتوسلين بالصالحين فى قوله تعالى (اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب)

الآية (١) حيث قال ابن عبد الوهاب في كتاب التوحيد بعد ذكر هذه الآية بيّن فيها الرّد على المشركين الّذين يدعون الصالحين ففيها بيان انّ هذا الشرك الاكبر (انتهى) مضافاً الى معارضته بقوله تعالى في سورة المائدة (يا ايّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) يقتضي تكفير عمر الفاروق ونسبة الشرك اليه لقوله في عبّاس هذا والله الوسيلة الى الله والمكان منه (وامّا) العكوف على اجداثهم فلا يخفى انّ العكوف على القبران كان للسخط على قضاء الله واظهار عدم الرضاء عليه فلا شك في كونه كفراً وعصياناً وكذا لو كان بقصد التشريع وامّا العكوف عليه لتلاوة القرآن والأعمال الصالحة ودلالة الزّائرين على القبر ليتشرّفوا بزيارته ويتبرّكوا بمكانه فلا ضير فيه بل هو من قبيل الاعانة على البرّ والتقوى وقد روى البخاري في صحيحه لما مات الحسن بن الحسن ع ضربت امرأته على قبره

(١) لايخفى انّ ذمّ المشركين على اتّخاذ الوسيلة انما هو لأنّ اصنامهم الّتي كانوا يتوسّلون بها لا تصلح للتوسّل فانها احجار وصخور لا تضرّ ولا تنفع ولا امر الله بتعظيمها والتبرّك بها لا لنفي اصل التوسّل حتى يقاس بالمقام ١٢

قبة ولبثت هناك سنة كاملة ؛

وتقبيل الاعتاب ايضاً مما لم يقم دليل على كونه كفراً وشركاً فانه لما ثبت وجوب تعظيم تلك القبور بقوله تعالى (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) ومن انواع التعظيم التقبيل المندب اليه فى الحجر الأسود ولم يرد بعد نهى عن ذلك فلا دليل على تحريمه بل يبقى داخلا فى عموم تعظيم شعائر الله المندوب اليه على انه ورد جواز التقبيل للتعظيم عموماً عن النبى ص آ فعن عائشة انه ص آ قبل عثمان بن مظعون (١) بعد موته فكانى انظر الى دموعه تسيل على خديه رواه البلخى القندوزى فى ينابيع المودة وعن ابن عباس وعائشة ان ابا بكر قبل النبى ص آ وهو ميت اخرجه الامام المتقن ابن ماجة فى سننه وتقبيل القبر خصوصا عن النبى ص آ ففى كفاية الشعبى وفتاوى الغرائب ومطالب المؤمنين وخزانة الرواية ماهذا لفظه لا بأس بتقبيل قبر والديه لان رجلا جاء الى النبى ص آ فقال يارسول الله انى حلفت ان اقبل عتبة باب الجنة وجبهة حور العين فامر ان يقبل رجل الام

(١) لايقال ان هذا التقبيل كان للمحبة لا للتعظيم فانهما متلازمان خصوصاً فى مثل الانبياء والاولياء ١٢

وجبهة الأب قال يارسول الله ان لم يكن ابواى حيّين فقال قبّل قبرهما قال فان لم اكن اعرف قبرهما قال خط خطّين انو احدهما قبر الامّ والآخر قبر الاب فقبلهما فلا تحنث فى يمينك (واما) التمسح بآثارهم فقد ثبت جوازه ايضاً بالتقريب المتقدم وبعمومات سنّة النبيّ ص وسيرة السلف الصالح وقد مر آنفاً فى حديث استسقاء عمر بالعباس انه لمّا سقى الناس طفقوا يتمسحون بالعباس ويقولون هنيئاً لك ساقى الحرمين (وقال) القاضي فى شرح الشفاء رأى ابن عمر واضعاً يده على مقعد النبيّ ص من المنبر ثم وضعها على جبهته فلو كان التمسح كفراً للزم كفر هؤلاء الصحابة والتابعين نعوذ بالله عن ذلك ؛

(واما) اظهار الفاقة وابداء الفقر والضراعة فلاريب فيه ومن انكر من العباد فاقته وفقره وحسب نفسه غنيّا فقد كفر قال الله فى سورة الاحزاب (يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنىّ الحميد) وقال تعالى فى سورة محمد ص (والله الغنىّ وانتم الفقراء) والفاقة الى الاولياء والصالحين للدّعاء الى الله فانّ كل مؤمن مفتاق الى الآخر فى الدعاء له فكيف باولياء الله من المؤمنين والانبياء والمرسلين ؛

﴿ قوله ﴾ واستنزال الغيوث والامطار الخ ﴿ اقول ﴾ هذا كله من قبيل ماسبق منا تفصيله فان استنزال الغيوث والامطار بقبور الانبياء والأخيار نظير مامر آنفا من اهل المدينة قحطوا قحطاً شديداً فشكوا الى عائشة فقالت انظروا قبر النبي رسول الله ص فاجعلوا منه كوى الى السماء حتى لايكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا مطراً شديداً حتى نبت العشب واسمنت الأبل ؛

(واما) طلب السلامة من شدائد البراري والبحار فهوايضا منقول عن النبي المختار كما روى الطبراني انه ص قال اذا ضل احدكم شيئاً او اراد عونا وهو بارض ليس فيها انيس فليقل ياعباد الله اعينوني وفي رواية اغيثوني فان لله عباد الا ترونهم

(واما) ماذكر من تزويج الأرامل والايامى واللطف بالضعفاء واليتامى والاعتماد عليهم في المطالب العالية فكل ذلك من قبيل التماس الدعاء الى الله لهذه المهمات لا الطلب منهم استقلالا و بالذات ؛

﴿ قوله ﴾ وتاهيلهم لمغفرة الذنوب والنجاة من الهاوية واعطاء تلك المراتب السامية (اقول) سبحان الله ما اجسر هذا الرجل

على الكذب والافتراء على عباد الله المخلصين فهيهات ان يؤهل احد من اهل الايمان اولياء الله لمغفرة الذنوب وانما اعتقادهم انه لا يغفر الذنوب الا الله ولا ينجي من الهاوية ولا يعطي المراتب السامية في الجنان الا هو ولكنهم يرجون بزيارة قبور اوليائه و تعظيم شعائره ومحبة رسوله واهل قرابته ان يغفر لهم وينجيهم من الهاوية ويعطيهم المراتب السامية هؤلاء هم وشتان ما بين الامرين نعم اعتقادهم ان التمسك باذيال هؤلاء الأئمة والاولياء واتباعهم ومحبتهم يؤدي الى مرضات الله سبحانه فيغفر الذنوب وينجي من الهاوية وذلك كما قال رسول الله ص مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق وهوى (وايضاً) قد يلتمسون منهم الاستغفار لهم في حضرة الله فيرجون ان يغفرهم الله بواسطة استغفار هؤلاء الانبياء والصالحين وذلك ايضاً لا ضير فيه فقد قال الله تعالى في كتابه (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما) وقال في موضع آخر مخاطباً لنبيه (فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) وحكى تعالى في سورة يوسف عن ابناء يعقوب (قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا

انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) فهل ترى هذا الرجل كيف يلبس الحق بالباطل ويموه القول على الانام ليحسبوه صادقاً فيما قال ولكن لا ينخدع به من كشف الله عنه غطائه فبصره اليوم حديد ؛

(قوله) وجماهيرهم لما الفت ذلك طباعهم وفسدت به فطرهم وعز عنه امتناعهم لا يكاد يخطر ببال احدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين من قصد الله تعالى والانابة اليه ﴿ اقول ﴾ الامر على خلاف ذلك فان سائرهم يعلمون ان لهم الها يرزق ويعطى ويطعم ويسقى ويمرضون فيشفى وهؤلاء الاولياء والصالحون عباد له قد اطاعوه وعبدوه حتى اتاهم اليقين فاكرمهم الله واعزهم ورضى بتعظيمهم والتمسك بهم وان هؤلاء لا يملكون بانفسهم كشف الضر ولكن الله يكشف الضر بواسطتهم ويقضي حاجاتنا بدعائهم الى غير ذلك مما يعرفه آحاد المسلمين فلا يخطر ببال احد منهم ان هذا الولى والصالح اله اوشريكه او يجب عبادته وغير ذلك مما يوجب الشرك ؛

ولا شك ان الكلام مع المسلم المؤمن العارف بالله ورسوله ومدارج اوليائه المقربين والانبياء والمرسلين واما الضال الجاحد

الذي لم يشم قط رائحة الأيمان ولم يتنور حتى من بعيد سنا قبس العرفان ومن نبذ السنة وراء ظهره واتخذ هذا القرآن مهجوراً فذاك اعمى القلب مختوم البصر مغشي على السمع وخطابه لايسمن ولا يغني من جوع ؛

(واما) المتصوفة فلا يهمنا البحث عن ما يتعلق بهم والظاهر ان سائرهم لايعتقدون في الاولياء انهم كفاة مستقلون بجلب نفع او دفع ضرر والله العالم بحقائق الاحوال ؛ ومانقل عن حاشية البيجوري لايدل على كفرهم فانه لاشك ان الله يستعمل الملائكة في نظام عالم التكوين بلا حاجة منه اليهم الا ترى ان جبرئيل امينه على وحيه واسرافيل نافخ الصور ومالك خازن جهنم والكروبيون حملة العرش الى غيرهؤلاء من الملائكة فلوفرض ان وكل الله ملكا لقضاء حوائج الناس فاى كفر في ذلك وهو لاينافي الآيات المذكورة من بعد فان مجيب الدعوة وقاضي الحاجة حقيقة هو الله وذلك كما قال تعالى في سورة الزمر (الله يتوفى الأنفس حين موتها) وقال (والله خلقكم ثم يتوفاكم) ثم قال في موضع آخر (قل يتوفاكم ملك الموت) وقال تعالى في سورة النحل (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم)

وقال تعالى (كذلك يجزى الله المتقين الّذين توفّاهم الملائكة طيّبين) وقال تعالى فى سورة الأنعام (حتى اذا جاء احدكم الموت توفّته رسلنا وهم لايفرّطون) وقال فى سورة الانفال (ولوترى اذ يتوفى الّذين كفروا الملائكة) وقال تعالى فى سورة محمد (فكيف اذا توفّتهم الملائكة) وقال فى سورة الأعراف (حتى اذا جائتهم رسلنا يتوفّونهم) فهل يقول احد بالتناقض بين هذه الآيات ومثلها الآيات السابقة فتبصر

(واما) حديث الأمرأة وبعض المغاربة فعلى تسليم صحّته لادخل له فى البين فانّا لاندّعى انّه لايمكن ان يكفر احد بين الربع المسكون فلو وجد شخص استزلّه الشيطان واعمى بصره فأذعن بالكفر واتّخذه ملّة فلايمكن الحكم بهذا الرّجل الواحد على جميع اهل العالم بكونهم امثاله فى الكفر والشرك ،

(وامّا) ماذكرالرّجل بعد ذلك من شراء الولدان ومهور النساء وجعل السوائب وغير ذلك فلا علم لنا بذلك ولم نرها فى بلاد المسلمين عينا ولا اثراً ولعلّ هذا الرجل ورد ذا الكفل اومشهد عزبر اوشعيب وغيرها من المواضع الّتى هى بأيدى اليهود فرأى فيها هذه الاضاليل فظنّها انها من المسلمين معاذالله

من الظن السيء وشر الوسواس الخناس

﴿ قوله ﴾ والعراق فيه من ذلك الحظ الاكبر والنصيب الاوفى الخ ﴿ اقول ﴾ نعم هذا هو الحسد الذى اشتعل لهبه فى صدره والبغض الذى تصدع من وهج ناره كبده سبحان الله لم يزل اهل البيت محسودين مظلومين بايدى شرار الخلق فى حياتهم حتى قضوا نحبهم ولقوا ربهم فهنالك يشتد فى قلوب معانديهم بقاء قبورهم وآثارهم على وجه الأرض لكنهم لن يفوزوا ان شاء الله بما ارادوا الى يوم القيامة ؛ (يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم والله متم نوره)

نسب الى زوار قبور الأئمة مالم يقم عليه دليل وبرهان وما انزل الله بها من سلطان نعم ان المحروم لم يشفق له زيارة هذه المشاهد ولو اتاها بثاقب النظر وخالص القلب خاليا عن التعصب واللجاج مبرأ من الزيغ والاعوجاج ورأى العابدين الحامدين السائحين الراكعين الساجدين لله الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر الحافظين لحدود الله وما يقولون عند زيارة تلك المشاهد لعلم ان هذه المشاهد تقلع اصول الشرك والعدوان وتجتاح جراثيم الكفر والطغيان وتكشف الغطايا عن توحيد الملك الديان بحيث

لايخطر ببال احدهم ما ينافى الأيمان ؛ هذا مشهد امير المؤمنين وسيد الوصيين حجة الله الغالب على بن ابى طالب ع اوّل ما يفتح اذن الدخول فى حرمه هو لا أله الّا الله وحده لاشريك له واشهد انّ محمداً عبده ورسوله جآء بالحق من عنده وصدّق المرسلين الخ وكذا فى سائر الزيارات والأدعية المقروّة فى هذه البقعة الطيّبة المباركة والرّكعتان المستحبتان بعد فراغ الزيارة يقرأ بعدهما دعاء هذا لفظه اللّهم انّى صليت هاتين الركعتين هدية منى الى سيدى ومولاى ولّيك واخى رسولك امير المؤمنين على بن ابيطالب ع اللّهم فصل على محمد وآل محمد فتقبلهما منّى واجرنى على ذلك جزاء المحسنين اللّهم لك صليت ولك ركعت ولك سجدت وحدك لاشريك لك لانّه لاتكون الصلوة والركوع والسجود الّا لك لانّك انت الله لا أله الّا انت اللّهم صلّ على محمد وآل محمد وتقبل منى زيارتى واعطنى سؤلى بمحمد وآله الطاهرين وكذا فى سائر مشاهد الأئمة المعصومين ولا ريب انّ زيارتها هى تشيّد اركان الدّين وتجمع كلمة المسلمين وتدفع عن القلوب شبهات الكفر والألحاد فضلاً عمّا ذكره هذا القائل من كونها موجبة للكفر والشرك والى الله الشكوى من

سهام كلامه ونفثات لسانه ؛

ولما القيت السمع الى هذا الكلام فهناك حصحص الحق لك كمثل النهار وعلمت ان جميع الوجوه التى تمسك بها فى تكفير اهل الارض على شفا جرف هار وهذه العقيدة هى التى اقحمته فى سفك دماء المسلمين وانتهاك حرمهم وقد تواتر ذلك عنه وعن اتباعه بحيث لايمكن انكاره وقدقال الصديق حسن خان القنوجى فى كتابه ابجد العلوم قال الشيخ الأمام العلامة محمد بن ناصر الحازمى الأخذ عن شيخ الاسلام محمد بن علىّ الشوكانى هو (يعنى ابن عبد الوهّاب) رجل عالم متبع الغالب عليه فى نفسه الاتباع ورسائله معروفة وفيها المقبول والمردود واشهر ما ينكر عليه خصلتان كبيرتان (الأولى) تكفيراهل الأرض بمجرد تلفيقات لادليل عليها وقد انصف السيد الفاضل العلامة داود بن سليمان فى الرّد عليه فى ذلك (الثانية) التجارى على سفك الدّم المعصوم بلا حجة ولا اقامة برهان انتهى (وقال) فى موضع آخر من كتابه لما تمكن فى قلوبهم الأسلام وهم عرب اغتام قرّر لهم انّ من دعا غير اللّه او توسـل بنبىّ او ملك او عالم فانّه مشرك شاء اوابى اعتقد ذلك ام لا وتعدّى ذلك الى تكفير

جمهورُ المسلمين وقد قاتلهم بهذا الوجه الّذى ابداه وقد وقفت على رسالة لهم فى هذا الشان وقد كان المولى العلاّمة السيد محمد بن اسماعيل الأمير بلغه من احوال النجدى ما سرّه فقال قصيدته المشهورة

سلام على نجد ومن حل فى نجد * وان كان تسليمى على البعد لا يجدى

ثم لما تحقق الاحوال من بعض من وصل الى اليمن وجد الامر غير صاف عن الادغال وقال

رجعت عن القول الّذى قلت فى نجد * فقد صح لى عنه خلاف الذى عندى

(انتهى) وهذا السيد محمد بن اسماعيل الأمير الصنعائى قال فى شرح القصيدة المذكورة المسمى بمحو الحوبة فى شرح ابيات التوبة لما بلغت هذه الأبيات نجدا يعنى القصيدة الاولى (سلام على نجد الخ) وصل الينا بعد اعوام من بلوغها رجل عالم يسمى الشيخ مربد بن احمد التميمى وكان وصوله فى شهر صفر سنة ١١٧٠ واقام لدينا ثمانية اشهر وحصل بعض كتب شيخ الاسلام ابن تيمية والحافظ ابن القيّم بخطه وفارقنا فى عشرين من شوّال سنة ١١٧٠ راجعاً الى وطنه وكان من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهّاب الّذى وجّهنا اليه الأبيات فاخبرنا ببلوغها ولم يأت

بجواب عنها وكان قد تقدّمه في الوصول الينا بعد بلوغها الشيخ الفاضل عبد الرّحمن النجدي ووصف لنا من حال ابن عبدالوهاب أشياء انكرنا عليه من سفك الدّماء ونهب الأموال وتجاريه على قتل النفوس ولو بالاغتيال وتكفيره الأمّة المحمديّة في جميع الأقطار فبقى معنا تردد فيما نقله الشيخ عبد الرّحمن حتى وصل الشيخ مربد وله نباهة ووصل ببعض رسائل ابن عبد الوهّاب الّتي جمعها في وجه تكفير اهل الايمان وقتلهم ونهبهم وحقق لنا احواله وافعاله فعرفنا احواله احوال رجل عرف من الشريعة شطراً ولم يمعن النظر ولا قرأ على من يهديه نهج الهداية ويدلّه على العلوم النافعة ويفقّهه فيها بل طالع بعضا من مؤلفات الشيخ ابى العباس بن تيمية ومؤلفات تلميذه ابن القيم الجوزية وقلدهما من غير اتقان مع انهما يحرّمان التقليد انتهى

وقال السيد محمد امين ابن عمر المعروف بابن عابدين في الجزء الثالث من كتابه ردّ المحتار بعد ذكر البغاة كما وقع في زماننا في اتباع عبد الوهاب الّذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين كانوا ينتحلونّ مذهب الحنابلة لكنهم اعتقدوا انهم هم المسلمون وان من خالف اعتقادهم مشركون واستباحوا بذلك قتل اهل السنة

وقتل علمائهم حتى كسر الله تعالى شوكتهم وخرب بلادهم وظفر بهم المسلمين عام ثلاث وثلاثين ومأتين والف (انتهى) والحاصل انهم قالوا قولاً لم يسلم من تبعات طعنه احد من المسلمين المخلصين فى اىّ قطر من الأرض ولمّا حكموا بكفرهم استحلوا دمائهم واموالهم لانفسهم كما صرّح بذلك سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهّاب فى كتاب التوضيح حيث قال واباح لاهل التوحيد اموالهم ونسائهم وان يتخذوهم عبيداً (انتهى)

ولا غرو فليس هذا اوّل قارورة كسرت فى الاسلام وانّ لهم اسوة فى من سلف من الخوارج الحروريّة لعنهم الله حيث كفروا امير المؤمنين على بن ابيطالب ع وجميع المسلمين من اصحابه وانصاره بتلفيقات تشبهها اقوال هؤلاء الوهابية واستحلوا بذلك دمائهم واموالهم كما لا يخفى على من تتبع الزبر

ولو تأمّلت بصائب النظر فى تاريخهم لوجدت الوهابية ممن يحذو حذوهم فى العقائد لانهم كانوا يكفّرون المسلمين بلا دليل قاطع وهؤلاء يكفرونهم كذلك وانهم كانوا يقولون لا حكم الا لله كلمة حق يراد بها باطل وهؤلاء يقولون لا خضوع الا لله لادعاء الّا الى الله لا محبّة الا لله كلمات حق يراد بهن باطل ثم

انك لو امعنت النظر لوجدت شيوخ اولئك الخوارج من اهل نجد فامير قتالهم شبث بن ربعي تميمي ورئيس خوارج البصرة مسعر بن فدكي التميمي وهذا ابن عبد الوهاب النجدي ايضاً تميمي ونسبه هكذا محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن احمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن بعضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علي بن وهيب التميمي وان زرعة بن البريج وبعض سراتهم من طي وجبلا طي أجأ وسلمى من ارض نجد وما انا وذلك ولكن كشف الغطاء عن كونهم من الخوارج بعض مصنفي هذا الزمان وهو الشيخ محمد بن يوسف الشهير بالكافي قال في كتابه « الحصن والجنة على عقيدة اهل السنة » : لا وجه لما اشيع في عصرنا من انكار الكرامة والزيارة للأولياء وانكار التوسل بهم الى الله تعالى واصل هذا المذهب لبعض الخوارج بناحية بغداد وعقيدتهم ان من زار قبرا فكانما عبد صنماً وهو مذهب فاسد بدليل زيارته ص المقابر وامره بذلك واجماع الامة على ذلك فالكلام مع نحو هؤلاء عبث انتهى وهذا الالوسي صاحب تاريخ نجد وان كان مائلا الى الوهابية كما يلوح من نفثات لسانه لكن اجرى الله شيئاً من الحق على قلمه

في هذا المقام وان خلطه بالقول الباطل من عنده وقال بعد ذكر سعود بن عبد العزيز انه قد قاد الجيوش على الخيل العتاق والركائب النجب واذعنت له صناديد العرب وذلت له رؤساءهم بيد انه منع الناس عن الحج وخرج على السلطان وغالى في تكفير من خالفهم وشدد في بعض الاحكام وحملوا اكثر الامور على ظواهرها كما غالى الناس في قدحهم والانصاف الطريقة الوسطى لا التشديد الذي ذهب اليه علماء نجد وعامتهم من تسمية غاراتهم على المسلمين بالجهاد في سبيل الله ومنعهم الحج ولا التساهل الذي عليه عامة اهل العراق والشامات وغيرهما من الحلف بغير الله وبناء الأبنية المزخرفة بالذهب والفضة والألوان المختلفة على قبور الصالحين والنذر لهم وغير ذلك من الأمور التي نهى عنها الشارع والحاصل ان الافراط والتفريط في الدين ليس مما يليق بشان المسلمين بل الاحرى بهم اتباع ما عليه السلف الصالح وتكفير بعضهم لبعض مستوجب للمقت والغضب انتهى

ولما تحقق انهم يكفرون جميع المسلمين فانظر قول النبي ص في صحيح البخاري من كفر احداً فقد باء به احدهما فيلزم على المسلمين الذين يكفرهم هؤلاء القوم اما ان يقولوا بكفر

انفسهم وذلك لا يتأتى من مسلم واما ان يقولوا بكفر من يكفّرهم ؛

هذه اراء علماء اهل السنّة وزواياتهم ونطوى كشحا عما يعزى اليهم من التجسيم والنصب وعداوة اهل البيت عليهم السلام وغير ذلك مما ثبت خلافه من الدّين عند جمهور علماء الاسلام :.

وعما اوعزنا اليه من اقتفاء القوم اثر الخوارج فى جملة من العقائد وانّ الخوارج كفار بلا خلاف كما صرّح به شارح كتاب التوحيد لابن عبد الوهّاب حيث قال قد شهد النبيّ ص للخوارج بكثرة الصلوة والصيام وقرائة القرآن المشحون بلا أله الّا الله ومع ذلك حكم عليهم بالكفر وقال لوادركتهم لقتلتهم قتل عاد كما فى الصحيحين ولكن طبع الله على قلوب ادعياء العلم فهم لا يفقهون (انتهى) ثم كما انّ الخوارج طبقوا ما ورد فى الكفار والمشركين من الايات على المسلمين المؤمنين فكذلك هؤلاء الوهابيون يطبّقون سائر تلك الآيات الواردة فى المشركين على مسلمى العالم كما تقدّم من عبارة ابن عبد الوهّاب التى نقلها الالوسي وقد صنف ابن عبد الوهّاب رسالة مستقلة فى هذا المعنى سمّاها كشف الشبهات فى التشكيك بالمتشابهات بسط فيها القول بتطبيق تلك

الايات على المسلمين وقد اخبر ص بهذا المعنى كما روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رض في وصف الخوارج أنهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين (وفي رواية اخرى) عن ابن عمر عند غير البخاري انه ص قال اخوف ما اخاف على امتي رجل متأول للقرآن يضعه في غير موضعه ذكرها العلامة ابن دحلان وكما ان الخوارج استحلوا دماء المسلمين وسفكوا مهج المؤمنين بغير حق فكذلك هؤلاء الوهابيون قتلوا من المسلمين ما لا يعدهم الا الله بل لا يبعد ان يقال انهم ما سفكوا قط دما سوى دم المسلمين ففي « كشط الاهاب » ان عدد من قتل على ايدي هؤلاء المسرفين يزيد على مائة الف قتيل وقتلوا اهل الطائف وهم جم غفير بعد المعاهدة والحلف بانهم لا يضعون فيهم السيف (انتهى) وقد قال الله تعالى في كتابه (من قتل نفساً واحدة بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا) الآية فكيف بقوم قتلوا مائتين الوفا من المسلمين وقال رسول الله ص سباب المسلم فسوق وقتاله كفر اخرجه الامام الحافظ المتقن ابن ماجة في سننه (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزائه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذاباً عظيما) ؛

﴿ الباب الخامس ﴾

﴿ عقيدته فى قبور الانبياء والصالحين ﴾

(اعلم) رحمك الله انّ مذهبه فى القبور انه يحرم عمارتها والبناء حولها وتعاهدها والدّعاء والصلوة عندها بل يجب هدمها وطمسها ومحو آثارها حتى قبر خاتم النبيّين ويزعم هو واتباعه فى تلك المشاهد والقبور انها بمنزلة الأصنام وفى قبر النبيّ ص انّه الصنم الأكبر الى غير ذلك ولا يخفى انّ قدوته فى هذه المقالات كغيرها هو ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وقد صرّح فى كتابه « زاد المعاد فى هدى خير العباد » (ص ٦٦١) بما حاصله انّه يجب هدم المشاهد الّتى بنيت على القبور الّتى اتخذت اوثانا وطواغيت تعبد من دون الله ولا يجوز ابقائها بعد القدرة على هدمها وابطالها يوما واحدا فانها بمنزلة اللاّت والعزى او اعظم شركا عندها وبها ويجب على الامام صرف الاموال الّتى تصير الى هذه المشاهد والطواغيت فى الجهاد ومصالح المسلمين كما اخذ النبيّ اموال اللات وكذلك يجب عليه هدم هذه المشاهد وله ان يقطعها للمقاتلة او يبيعها ويستعين باثمانها على مصالح المسلمين وكذا حكم اوقافها فانّ الوقف عليها باطل وهو مال ضايع فيصرف

فى مصالح المسلمين وقال فى المجلد الثانى (ص ١٦) ما ملخصه ان النبي ص حرق مسجد الضرار وامر بهدمه فكذلك مشاهد الشرك احق بذلك واوجب والوقف لا يصح على غير برّ ولا قربة فيهدم المسجد اذا بنى على قبر كما ينبش الميت اذا دفن فى المسجد فلا يجتمع فى دين الاسلام مسجد وقبر بل ايهما طرأ على الاخر منع منه وكان الحكم للسابق (انتهى)

ويحسن بنا ان نذكر فى هذا المقام ما نشرته الجرائد من الفتوى المنسوب الى علماء المدينة جوابا عن سؤال قاضي نجد عبد الله بن بليهد لئلا يبقى حجاب على عقائد هؤلاء الوهابيين :

﴿ استفتاء ﴾

ماقول علماء المدينة المنورة زادهم الله فهما وعلما فى البناء على القبور واتخاذها مساجد هل هو جائز ام لا واذا كان غير جائز بل ممنوع عنه نهياً شديداً فهل يجب هدمها ومنع الصلوة عندها ام لا واذا كان البناء فى مسبلة كالبقيع (١) وهو مانع من

---

(١) هذا السائل قد غالط حيث ذكر ان ارض البقيع مسبلة والابنية التى فيها تمنع المستحقين عن حقوقهم فيجب ازالتها وعلى هذا يؤيده قول الشافعى فى كتاب الامّ حيث صرح بوجوب

الانتفاع بالمقدار المبنيّ عليه فهل هو غصب يجب رفعه لما فيه من ظلم المستحقين ومنعهم استحقاقهم ام لا وما يفعله الجهّال عند هذه الضرائح من التمسح بها ودعائها مع الله والتقرب بالذبح

هدم القبر اذا كان مبنيا في مسبّلة لكنك لو تتبعت السير لعلمت انّ هذه مغالطة ظاهرة فان الابنية التي هي في البقيع ليست بارض مسبّلة بل كلها في المملوك والمرء اذا اغضى عن كلمات القوم تكلم ماشاء واحب ولكن لاينبئك مثل خبير فقد اخبر صاحب وفاء الوفاء عن قبر ابراهيم بن النبيّ ص قال عبد العزيز بن محمد وهي الدّار التي صارت لمحمد بن زيد بن علي (انتهى) ولا يخفى انّ اللام للتمليك فعلم انّ هذه الدّار كانت مملوكة وفي جنب هذا القبر قبر عثمان بن مظعون وهنا قبر عبد الرّحمن بن عوف كلها في قبّة واحدة فلا بد من ان يقال انّ هذه القبّة كانت بارض مملوكة لا في مسبّلة ثم قبّة ازواج النبيّ ص مملوكة لعقيل بن ابي طالب كما سنذكره عن وفاء الوفاء ان شاء الله - بقي الكلام في قبّة أئمة اهل البيت ع فنقول قد ثبت بالسير انّ هذه القبة هي قبّة عباس بن عبد المطلب ففي الصواعق المحرقة لابن حجر في ترجمة الامام الباقر ع انه دفن بجنب ابيه في

والنذر لها وايقاد السرج عليها هل هو جائز ام لا ؟ وما يفعله عند
حجرة النبي ص من التوجه اليها عند الدعاء وغيره والطواف
بها وتقبيلها والتمسح بها وكذلك مايفعل فى المسجد الشريف

قبة الحسن والعباس بالبقيع انتهى وقبر عباس قد ذكر فيه اهل
الدراية انه فى زاوية دار عقيل كما قال المحدث عبد الحق فى كتابه
جذب القلوب الى ديار المحبوب ماهذا لفظه
، عباس بن عبد المطلب را نيز نزديك قبهٔ فاطمه بنت اسد بن هاشم
در اول مقابر بنى هاشم كه در زاويهٔ دار عقيل است دفن كردند ،
(يعنى) انهم دفنوا عباس بن عبد المطلب ايضاً عند قبة فاطمة
بنت اسد بن هاشم فى اول مقابر بنى هاشم الذى فى زاوية دار
عقيل (انتهى) فثبت بلا شبهة ان هذه القبة ايضاً كانت فى
ارض مملوكة وقال العلامة السيد ابراهيم الراوى الرفاعى فى
كتابه الاوراق البغدادية بعد ماذكر ان قبة الامام الشافعى
كانت قبل الوقف دار ابن عبد الحكم واما البقيع فلم يثبت كونه
وقفا (انتهى) والانصاف ان كلمات الاعلام تنطق بكون تلك
القبور فى الارض المملوكة فمن ادعى كونها مسبلة فعليه البيان
وانى له ذلك على ان اقرار العلماء جيلا بعد جيل وعصراً بعد

من الترحيم والتذكير بين الاذان والأقامة وقبل الفجر ويوم الجمعة هل هو مشروع ام لا ؟ افتونا مأجورين وبيّنوا لنا الأدلة المستند اليها لا زلتم ملجأ للمستفيدين

عصر على بقاء هذه القباب وعدم الحكم بهدمها يرشد الى عدم الباس عندهم فى بقائها واعتناء المسلمين فى جميع الأوان الى تجديدها اقوى دليل على استحسانها ـ. هذا

ولو انكر الوهابية على هذه التصريحات فى مملوكية هذه الارض وقصروا القبول على ما فى الصحاح الستة مع انه بعيد عن جادّة الانصاف لانّ الامور التاريخيّة لامناص فيها من التعويل على نقل اهل التاريخ لقلنا كما قال بعض الافاضل الاعلام دام فضله وحاصله انه لا يوجد فى شيء من الحديث والتاريخ انّ احداً من المسلمين ملك ارض البقيع ثم وقفها مسبّلة للمقبرة بل يعرف من ذلك انها باقية على اباحتها الاصلية وكل من حاز منها شيئا بدفن او بناء كان احق به وليس لاحد ان يتعرض لما حازه بوجه من الوجوه كما هو الحكم المتفق عليه فى الارض المباحة ولو سلمنا عدم العلم ببقائها على الاباحة الأصلية لكفى فى اثبات ذلك شرعا استصحاب الاباحة المؤيد باستصحاب عدم عروض

— الجواب —

نقول وبالله التوفيق امّا البناء على القبور فهو ممنوع اجماعاً لصحة
الاحاديث الواردة فى منعه ولهذا افتى كثير من العلماء بوجوب

الملك لهما واستصحاب عدم حصول الوقف ثم لوثبت الوقف
قبل الحيازة وانّى باثباته لم يكف فى غرض السائل بل لا بدّ
من ان يثبت بالحجة انّ واقفها لم يجر على عادة اهل المعرفة من
المسلمين فى فعل الخير والاحسان لا فى رعاية حقوق الكبير
المحترم فى الاسلام ومن يكثر زوّاره من المسلمين ويتلون عنده
القرآن الكريم ويذكرون الله ويهدون الثواب لروحه المقدسة
قياما بحق فضله فى الاسلام وعملا بالطاعات المأثورة ولا فى
رعاية المسلمين الزائرين فى وجوه طاعاتهم واداءهم لحقوق ذوى
الحقوق فى الأسلام فلا يرضى بالأعانة على البرّ وفعل الخير
والباقيات الصالحات وما يستظلّ به هؤلاء المسلمون من الحرّ
والبرد والمطر عند عملهم بالسنن المأثورة ؛

كلا ليس فى المسلمين العارفين بفعل الخير من يمنع عند وقفه
للمقبرة عن هذه الامور بل انّ ظاهر حال المسلم فى طلبه للخير
ومعرفته بحقوق رجال الدين والطاعات المسنونة وفضل المعاونة

هدمه مستندين على ذلك بحديث عليّ رضي الله عنه انه قال لابى الهياج الا ابعثك على مابعثنى عليه رسول الله ص ان لا تدع تمثالا الّا طمسته ولا قبراً مشرفا الّا سويته رواه مسلم (واما) اتخاذ القبور مساجد والصلوة فيها فممنوع مطلقا وايقاد السرّج عليها ممنوع ايضاً لحديث ابن عباس لعن رسول الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج رواه اهل السنن واما مايفعله الجهال عند الضرائح من التمسح بها والتقرب لها بالذبح والنذر

على البرّ وفعل الخير ليدلّ على انّه يقف المقبرة على الوجه الامثل فى الطاعة ورعاية الحقوق فهل ترى مسلماً يقف مقبرة ويشترط ان يكون قبر النبيّ والولى كقبر المسلم الضعيف العمل والّذى لا يرغب احد فى زيارته ولا كرامة له فى الاسلام . كلا . هذا كله مع انّ حديث وقف البقيع وتسبيله بالوقف للمقبرة مما لا يخطر على البال والقول به قول بما لا يعلم والمخالف للعلم واصول المذهب (انتهى) هذا كله مضافاً الى انّه على تسليم الوقف لابدّ من اثبات كونه قبل تلك الابنية والّا فوقف الارض المتضمنة على تلك الابنية لا يحجر ضرراً عليها كيف واستحقاق المسلمين على هذا قد تعلق بما عداها كما لا يخفى ١٢ منه

ودعاء اهلها مع الله فهو حرام ممنوع شرعا لا يجوز فعله اصلا واما التوجه الى حجرة النبي ص عند الدعاء فالأولى منعه كما هو معروف من معتبرات كتب المذهب وافضل الجهات جهة القبلة واما الطواف بها والتمسح بها وتقبيلها فهو ممنوع مطلقا واما مايفعل من التذكير والترحيم والتسليم فى الاوقات المذكورة فهو محدث هذا ما وصل اليه فهمنا السقيم وفوق كل ذى علم عليم ؛

٢٥ شهر رمضان سنة ١٣٤٤ هجرية

﴿ اقول ﴾ امّا ما تفوّه به ابن القيم فأساسه مبنيّ على زعمه الباطل من كون الأعمال الّتى تاتيها المسلمون عند قبور الأنبياء والصالحين شركا وحيث ابطلناه بما لامزيد عليه فصار فى كلامه كله كالراقم على الماء او كالنافخ من غير ضرم

(وامّا) الفتوى المنسوب الى علماء المدينة فقد قضى الوطر من الرّد عليه العلامة البلاغى ايده الله تعالى وقد كتبنا فى الرّد عليه كتاباً مستقلاً بلغتنا سمّيناه البيت المعمور فى عمارة القبور وقد طبع فى الهند وتهافت عليه الناس كالفراش المبثوث فلا حاجة لنا فى الرّد عليه تفصيلا ولكنا نورد جملة كافية تمزّقه كشل هشيم تذروه الرياح ؛

(اعلم) انّ جواز عمارة القبور ثابت بالكتاب والسنة واجماع المسلمين ،

(امّا الكتاب) فقوله تعالى (وقال الّذين غلبوا على امرهم لنتّخذن عليهم مسجدا) وذلك انه لما تبوّء اصحاب الكهف فى مستقرّهم وعلم الناس انهم ماتوا تنازع ملك الكفّار وملك المسلمين فى امرهم فقالت الكفّار نحن نعمر قبرهم ونبنى عليه وقال المسلمون نحن نبنى عليهم مسجداً يصلى فيه الناس فحكى سبحانه مقالة المسلمين من غير ردّ عليهم ولا انكار بل لا يبعد انه ذكره فى مقام المدح وغير خفى انّ الله تعالى ذكر فى كتابه قصص الماضين واحوالهم تبصرة لهذه الأمّة لكى يعتبروا بها ويتاسوّا بما صلح لهم ويجتنبوا عمّا ارداهم فحكاية هذه المقالة من غير انكار عليهم يرشد الى تقريرها وانّها لم تكن مسخوطة عنده بل كانت مرضية صالحة للتأسّي والاقتداء والانصاف انه لولم يكن دليل على المطلب غير هذه الآية لكفت وحدها فى اثباته والعجب من شارح كتاب التوحيد لابن عبد الوهّاب حيث قال بعد ذكر هذه الآية هذا دليل على انّ الّذين غلبوا هم الكفّار

(١) اذلو كانوا مؤمنين ما ارادوا ان يتخذوا على قبور الصالحين مسجدا لان النبي ص لعن فاعل ذلك انتهى •

﴿ اقول ﴾ هذا القول ضحكة للثواكل و وبال على قائله فما بالهم لم يسلم من تكفيرهم احد من المسلمين حتى اهل القبور والسلف الصالحين الذين قضوا نحبهم ولقوا ربهم فقد اطبق العلماء والمفسرون على ان هؤلاء الذين غلبوا على امرهم كانوا مسلمين ففى معالم التنزيل للبغوى قال المسلمون نبنى عليهم مسجدا يصلى فيه الناس لرب العالمين (انتهى) وقال الخازن فى لباب التاويل قال ابن عباس فى البنيان فقال المسلمون نبنى عليهم مسجدا يصلى فيه الناس لانهم على ديننا انتهى وقريب من هذا عن تفسير الجلالين والكشاف وابى السعود وفى تنوير المقباس لابن عباس

(١) تمام الآية (وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لاريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا) وظاهرها ان كلهم كانوا متفقين على البناء عليهم وانما تسرب الخلاف بينهم فى كيفية البناء فلا يضر كون خصوص الغالبين كفارا على تقديره ١٢ منه

(قال الّذين غلبوا على امرهم) على قولهم وهم المؤمنون (لنتّخذن عليهم مسجدا) لأنهم على ديننا (انتهى)

وقال النيشابوري في غرائب القرآن الّذين غلبوا على امرهم المسلمون وملكهم المسلم لأنهم بنوا عليهم مسجدا يصلّى فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم حفظا لتربتهم انتهى فهل يسمع يا ايّها المنصف كلام هذا القائل في قبال هؤلاء المفسرّين الاعلام المتتبعين ومنهم ابن عباس ترجمان القرآن وامام المفسرّين من صحابة النبيّ ص ؟

﴿ واما السنّة ﴾ فلا يخفى انّ كلامنا في هذا المقام تجاه اهل السنّة الّذين يوجبون الاقتداء بصحابة النبيّ ص ويدينون بما رووه عنه من قوله ص اصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم فعلينا ان نثبت جواز عمارة القبور اوّلا بفعل النبيّ ثم بسيرة الصحابة والتابعين وهذا يكفي حجة عليهم فاعلم انّ عمل النبي ثابت بالنسبة الى عمارة القبور كما ذكر نور الدّين السمهودي الشافعي في وفاء الوفاء قال عن محمد بن قدامة عن ابيه عن جدّه قال لمّا دفن النبيّ ص عثمان بن مظعون امر بحجر فوضع عند راسه قال قدامة فلما صفق البقيع وجدنا ذلك الحجر فعرفنا انّه قبر عثمان

مظعون وفي رواية اخرى قال ص ذلك لا تعلم منه قبر اخى
وادفن اليه من مات من اهل بيتي . ولا يخفى ان العلة اذا كانت
منصوصة فيتسرب الحكم الى كل مورد توجد فيه وقد علل ص
وضع الحجر بتعلم القبر وتعرفه ولا شك ان بناء القبة اوفى لهذه
العلة من وضع الحجر فيثبت استحسانه من هذا الحديث بالاولوية
وايضا فان كثيراً من الصحابة ماتوا في حياته ص وتولى دفنهم
ولكن لم ينقل في دفن احد منهم هذا الاهتمام وبذلك يعلم ان
القبور والاموات ليست سواسية وبعضها يمتاز عن البعض في
الاهتمام ببقائه لاجل سابقة في الاسلام او كرامة في الدين وكان
الوقت ح غير صالح لبناء القبة وامثاله فميز ص قبر عثمان بما يسعه
الوقت فقبور الانبياء والاولياء وكذا الأمثل فالأمثل اولى
بالامتياز عن قبور غيرهم ببناء مشهد ونحوه على تفاوت درجاتهم
في العظمة والكرامة

(وفيه) روى ابن زبالة عن سعيد بن محمد بن جبير انه رأى
قبر ابراهيم عند الزوراء قال عبد العزيز بن محمد وهي الدار التي
صارت لمحمد بن زيد بن علي (انتهى) فثبت ان النبي ص قد
دفن ابنه ابراهيم في الدار فلو لم يجز كون القبر تحت البناء فكيف

دفن ص ابنه فى البيت ولو فرضنا انّ القبر كان فى فنائه لاتحت السقف فلااقلّ من اثباته جواز كون الجدران حول القبر ولا شك انّ عمارة القبور بين المسلمين لا تكون بحيث يكون الاساس على نفس القبر بل انما يكون البناء حول القبر وهو ثابت بهذا الخبر فافهم

(ثم سيرة بضعة النبيّ ص) ففى وفاء الوفاء عن ابى جعفر ع انّ فاطمة بنت رسول الله ص كانت تزور قبر حمزة رضي الله تعالى عنه وترمّه وتصلحه وقد تعلمته بحجر فانّ هذا الخبر مضافا الى دلالته على زيارة القبور التى تنكرها الوهّابية وتعدلها بعبادة الاوثان دليل على انه لابد من مرمّة القبور وتعاهدها لئلا تطمس آثارها واذ ثبت استحسان حفظ القبر فبناء القبّة الّذى هو من اهمّ وسائله مستحسن جداً

(ايضاً) فعل امّ المؤمنين عائشة ففى وفاء الوفاء عن المطلب قال كانوا ياخذون من تراب القبر فامرت عائشة بجدار فضرب عليهم وكان فى الجدار كوّة فكانوا ياخذون منها فأمرت بالكوّة فسدّت امّا صحابة النبيّ ص فلا يخفى انّ البناء على القبور ثابت من عملهم لوجوه كثيرة :

(اما الاوّل) فلا يخفى ان البناء على القبر لا يفرق فيه بين كون البناء سابقا والدفن تحته او القبر سابقاً والبناء فوقه لاتحاد الملاك فيهما وهو مظنّة التعظيم والزّيارة وغير ذلك . اذن فلو كان البناء فوق القبر محظورا لما دفن الصحابة رسول الله ص في حجرة عائشة التي كانت باجماع اهل العلم مسقّفة ففي صحيح البخاري عن عايشة قالت قبضه ص الله بين سحرى ونحرى ودفن في بيتى ولا سيّما امير المؤمنين علىّ ع كيف يرضى به وقد كان النبي بعثه نفسه لتسوية القبور على زعم الوهابيين . على انّه يظهر من قول عائشة انّ دفنه ص فيها كان بأمره ومن قبله حيث انها بعدما روت قوله صلى الله عليه وآله لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد قالت ولولا ذلك لابرز قبره غير انّه خشى ان يتخذ مسجدا ؛

هذا عمل الصحابة منهم الخلفاء الرّاشدون يرشد الى اتفاقهم على عدم الباس في كون القبر تحت البناء

(الثاني) في وفاء الوفاء للسمهودى انّ حجرة قبر النبيّ صلّى الله عليه وآله كانت مقوّمة بجريد النخل واوّل من بناها باللبن عمر بن الخطاب ..

(وقال) النووي في شرح صحيح مسلم لما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين والتابعون الى الزيادة في مسجد رسول الله ص حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة الى ان دخلت بيوت امهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة رض بنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد فيصلي اليه العوام ويؤدي الى المحذور ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن احد من استقبال القبر انتهى

(الثالث) ذكر السمهودي روى عن زيد بن السائب قال اخبرني جدي قال لما حفر عقيل بن ابي طالب رض في داره بئرا وقع على حجر منقوش مكتوب فيه قبر ام حبيبة بنت صخر بن حرب فدفن عقيل البئر وبنى عليه بيتا قال ابن السائب فدخلت ذلك البيت فرأيت فيه ذلك القبر .

(الرابع) ماذكره العلامة المعاصر السيد ابراهيم الراوي الرفاعي في الاوراق البغدادية من انه لما فتح المسلمون الشام وبيت المقدس وراوا على قبور الانبياء المباني فلم يهدموها ومن اشهرها البناء الذي على قبر نبي الله ابراهيم الخليل ع وقد رأى ذلك عمر

بن الخطاب رض فلم يهدمه ولم يأمر بهدمه وقد ذكر الشيخ

تقى الدّين ابن تيمية فى كتابه الصراط المستقيم وجود ذلك

البناء على قبر الخليل ع زمن الفتوح وزمن الصحابة الّا انّه

قال كان باب ذلك البناء مسدوداً الى سنة الأربعمائة انتهى

﴿ اقول ﴾ تقرير الصحابة ومنهم عمر على بقاء هذا البناء اقوى

دليل على عدم محظوريته واما دعوى ابن تيمية بكون بابه مسدودا

الى سنة الاربعمائة فقول بلا مستند وعندنا من التاريخ ما يكذّبها

وأن الناس قبل المائة الرابعة كانوا يختلفون الى زياره قبر

ابراهيم فعن السيدة نفيسة المتوفاة فى المائة الثانية أنها كانت

تدعو بعد كلّ صلوة اللهم يسّر لى زيارة قبر خليلك

ابراهيم (١)

وهل ينبغى الشك فى عمارة القبور بعد عمل النبي والصحابة فى خير

القرون ثم الّذى يليه ثم الذى يليه فانّ عهد التابعين كذلك

مشحون بعمارة القبور ومن تصفح علم ببناء القبة فى المائة الاولى او

الثانية من الهجرة فقد قال السمهودى فى وفاء الوفاء امّا قبر

---

(١) ذكر ذلك السيد عثمان بن مدوخ الشافعى فى كتابه

العدل الشاهد ٢٢ منه

فاطمه بنت اسد ام على بن ابيطالب رض فانّ عبد العزيز حدث وذكر سنده الى محمد بن على بن ابيطالب رض قال لما استقرت فاطمة وعلم بذلك رسول الله ص قال اذا توفيت فأعلموني فلما توفيت خرج رسول الله ص فأمر بقبرها فحفر فى موضع المسجد الّذى يقال له اليوم قبر فاطمة الى ان قال (قلت) وقوله فى موضع المسجد الى آخره يقتضى انّه كان على قبرها مسجد يعرف به فى ذلك الزّمان انتهى

فلينظر انّ هذه الرّواية عن محمد بن الحنفية رض المتوفى سنة ٨١ فيعلم كون المسجد على قبر فاطمة من قبل ذلك

(وروى) البخارى فى صحيحه عن هشام بن عروة عن ابيه قال لما سقط عليهم الحائط فى زمان الوليد بن عبد الملك اخذوا فى بنائه فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا انّها قدم النبىّ ص فما وجدوا احدا يعلم ذلك حتى قال لهم عروة لا والله ماهى قدم النبى ص ماهى الّا قدم عمر ! ومعلوم انّ خلافة الوليد كانت من سنة ٨٦ الى سنة ٩٦

(ايضاً) فى وفاء الوفاء قال عبد العزيز الغالب عندنا انّ مصعب بن عمير وعبد الله بن جحش دفنا تحت المسجد الّذى بنى على قبر

حمزة انتهى وعبد العزيز هذا من اهل المائة الثانية كما صرح
بذلك السمهودى قبل ذلك حيث قال سيأتى فى الفصل الذى
بعده عند ذكر قبر حمزة رض عن عبد العزيز بن مروان انه كان
على قبر حمزة قديما مسجد وذلك فى المائة الثانية انتهى
(ايضاً) قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى الصواعق المحرقة
ترجمة للامام محمد الباقر ع توفى سنة مائة وسبع عشرة من ثمان
وخمسين سنة مسموما كابيه وامه بنت عم ابيه الحسن رض وهو
علوى من ابيه وامه ودفن ايضاً بجنب ابيه فى قبة الحسن
والعباس بالبقيع انتهى ويعلم من ذلك ان قبة العباس ع كانت
موجودة فى سنة ١١٧ وقال المحدث محمد خواجه بارسا البخارى
فى كتابه فصل الخطاب ترجمة للامام على بن الحسين السجاد ع
توفى بالمدينة سنة خمس وتسعين سنة وعمره سبع وخمسون سنة
ودفن فى القبة التى فيها العباس وعمه الحسن ثم دفن فيها ابنه محمد
الباقر وابنه جعفر الصادق رض انتهى
وقال ابن خلكان فى ترجمته عليه السلام انه توفى فى السنة الرابعة
والتسعين ودفن فى قبر عمه الحسن فى القبة التى فيها قبر العباس
وكذا قال فى ترجمة الامام الباقر ع ومن ذلك يعلم انه كان

فى اواخر المائة الاولى على قبر العباس قبة فدعوى ان هذه البدعة حدثت بعد عصر التابعين جهل عن حقيقة الحال

(ثم) ان قاضي قضاة نجد عبد الله بن سليمان بن بليهد قد زاد فى الطنبور نغمة فقال فى مقالته التى نشرتها جريدة ام القرى فى عددها المؤرخ يوم الجمعة رابع جمادى الثانية من سنة ١٣٤٥ ماهذا لفظه وكذلك لم نسمع فى خير القرون ان هذه البدعة حدثت فيها بل بعد القرون الخمسة انتهى

وان تعجب فعجب انه كيف يدعى وينشر ما يشهد بكذبه التاريخ فانه يدل على وجود القبة قبل المائة الخامسة وقد ذكر السمهودى فى وفاء الوفاء ان جدران قبر النبى ص كانت قصيرة فشيدها عبد الله بن زبير عالية مرتفعة ثم ان ابا البختري والى المدينة من قبل هارون بنى سقف تلك الحجرة فى سنة ١٩٣ ثم ان المتوكل امر واليه على الحرمين اسحاق بن سلمة ان يشيد حجرة النبى ص بحجارة الرخام ففعل ذلك سنة ٢٤٢ وقال ابن خلكان ترجمة للامام موسى الكاظم ع نقلا عن الخطيب البغدادى المولود سنة ٣٩٢ ان الكاظم دفن فى مقابر الشونيزية (اى مقابر قريش) خارج القبة وقبره هناك مشهور يزار وعليه مشهد

تعظيم فيه القناديل وانواع الالات والفرش مالا يحد فانّ قوله
« خارج القبة » يدل على انّه حينما دفن الكاظم ع سنة ١٨٣ كان
في مقابر الشونيزيّة قبة وايضاً انّ مشهد الامام ع كان من قبل
عصر الخطيب فلا اقلّ من ان يكون حادثا في اواسط القرن
الرابع (وقد روى) جمال الدّين بن عنبة في عمدة الطالب انّ
هرون الرشيد بنى القبة على قبر امير المؤمنين عليّ ع وكذا عن
حبيب السير وكامل ابن اثير ويدلّ على ذلك مستهل قصيدة
حسين بن حجاج المتوفّى سنة ٣٩١ حيث يقول

ياصاحب القبة البيضا على النجف * من زار قبرك واستشفى لديك شفي

(وروى) ابن خلكان في ترجمه ابى تمام حبيب بن اوس
الطائى انّه توفى في نحو سنة مأتين وثلاثين وبنى على قبره بهشل
بن حميد الطوسي قبة (انتهى) وكذا ذكر قبة بوران بنت الحسن
بن سهل المتوفّاة سنة احدى وسبعين ومائتين وقال في ترجمة
معز الدولة المتوفى سنة ٣٥٦ انّه دفن في داره ثم نقل الى مشهد
بني له في مقابر قريش وكذا ذكر في ترجمة ابن وكيع الشاعر
المتوفّى سنة ٣٩٣ انّه دفن في المقبرة الكبرى في القبّة التى
بنيت له بها (انتهى) وقال السيد عثمان بن مدوخ الشافعي في

كتابه (العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد) فى ذكر مشهد السيد ابراهيم الحسينى هذا المشهد خارج القاهرة من بحريها قريبا من الخندق بينه وبين المطرية اشهر بمسجد تبر الاخشيدى لانّه بناه على مشهد السيد ابراهيم المذكور (الى ان قال) مات تبر الاخشيدى سنة ستين وثلث مائة انتهى

وذكر صاحب روضة الصفا ما يظهر منه انّ المأمون قد بنى قبّة على قبر ابيه هارون وذلك قبل السنة الثالثة بعد المائتين قال فى ترجمة الأمام على بن موسى الرّضا ع عن ابى الصلت الهروى ما معناه انّه قال كنت ذات يوم عند الرّضا ع فقال لى اذهب الى هذه القبة الّتى فيها قبر هرون الرشيد وأتنى بتراب من حوالها فاتيت به وشمه فطرحه فقال ما اسرع ان يحفروا لى فى هذا المقام انتهى

ولا يخفى مضافا الى انّ المأمون كان نفسه من اهل العلم كما قال السيوطى كان المأمون امّارا بالعدل فقيه النفس يعدّ من كبار العلمآء (انتهى) انّ هذا العصر كان حافلاً من العلمآء منهم الامام الشافعى والأمام احمد بن حنبل وسفيان بن عينية وغيرهم فلم ينقل انكار احد على ذلك ومن استقصى كتب التاريخ وجد

من هذا النحو اشياء كثيرة فى مطاويها ولنقتصر على هذا المقدار ايثاراً للأختصار

(اما الاجماع) فلا يخفى انّ المراد منه هنا هو ما يصطلحه اخواننا اهل السنّة فى اكثر الموارد من اتفاق جماعة من المسلمين على امر من دون نكير آخرين وهو ثابت فى عمارة القبور فقد ذكر الحافظ السيوطى فى تاريخ الخلفاء ترجمه للمتوكل فى سنة ست وثلاثين امر بهدم قبر الحسين (١) وهدم ماحوله من الدور وان يعمل مزارع ومنع الناس من زيارته وخرب وبقى صحراء وكان المتوكل معروفاً بالنصب فتألم المسلمون من ذلك وكتب اهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد وهجاه الشعراء فمما قيل فى ذلك (شعر)

بالله ان كانت امية قد اتت * قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد اتاه بنوا ابيه بمثله * هذا لعمرى قبره مهدوما
اسفوا على ان لايكونوا شاركوا * فى قتله فتتبعوه رميما

انظر الى قوله فتألم المسلمون من ذلك محلى بلام الاستغراق فعلم

---

(١) لفظة الهدم صريحة فى انه كان فى ذلك الوقت على قبر الحسين ع بناء وذلك فى المائة الثالثة ١٢ منه

ان سائر المسلمين كانوا قاطعين باستحسان هذا البناء والا لما تألموا من هدمه :

(واما) الاجماع بالمعنى الذى يأخذه اصحابنا الامامية فهو ايضا متحقق فى هذا المقام فان علمائنا رض من صدر الأسلام الى هذا العصر لم يزالوا مطبقين على استحسان مشاهد الائمة وتعظيمها وتعاهدها وتجديدها على ذلك مضت القرون ونسلت الازمن من غير خلاف احد ولا ريب انه كاشف عن راى المعصوم مضافاً الى ماورد فى ذلك من الاخبار المتواترة معنى من طرقهم : وبالجملة فعمارة قبور الصالحين مما يقطع باستحسانه كما اختاره اكثر العلماء فقال صاحب در المختار ولا يرفع عليه بناء وقيل لا باس به وهو المختار وقال الملا على القارى فى شرح المشكوة وقد اباح السلف البناء على قبر المشائخ والعلماء المشهورين ليزورهم الناس ويستريحو بالجلوس فيه وهكذا قال محمد الطاهر الفتنى فى مجمع البحار الى غير ذلك من اقوال العلماء وسيرة السلف واذا اصخت الى ما القينا عليك فيظهر لك النظر فى قولهم (اما البناء على القبور فهو ممنوع اجماعاً لصحة الأحاديث الواردة فى منعه) فاين هذا الأجماع والاحاديث المدعى صحتها وهل هو الا انباء على غير اساس ونفخ من

غير ضرم قولهم (ولهذا افتى كثير من العلماء بوجوب هدمه مستندين الى ذلك بحديث على رض انه قال لابى الهياج ان لاتدع الخ) اقول لعل هؤلاء الكثيرين من العلماء محصورون فى نجد فانا لا نعلم احداً غيرهم افتى بوجوب هدمه سوى ابن تيمية وابن القيم وقليل من اتباعهما بعد المائة الثامنة واما قبل ذلك فلم يقل احد بوجوب هدمه بل لم يزل منهم الأعتناء الى تجديده وعمارته (اما) استنادهم فى ذلك بحديث على ع فهو باطل لوجوه

(منها) ان هذا الحديث وارد فى قبور الكفار التى لا فائدة فى بقائها ولا حرمة لها عند الله تع واما قبور الانبياء والصالحين فلا لان فيها كثيراً من الفوائد المرضية عند الله كزيارة القبور المندوب اليها بقوله ص زوروا القبور فانها تذكر الآخرة وغير ذلك وقرينة الأنصراف الى قبور الكفار موجود فى متن الحديث وذلك انه ص امر بمحو شيئين فى كلام واحد فقال ان لاتدع تمثالا الا طمسته ولا قبراً مشرفاً الا سويته ونكتة الأرتباط بينهما تظهر من صحيح البخارى فانه روى فى باب بناء المسجد على القبر ان ام سلمة ذكرت لرسول الله ص كنيسة

رأتها بارض الحبشة وما فيها من الصور فقال اولئك اذا مات منهم الرّجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوّروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله فعلم انّ من طريقة الكفار بناء المساجد على القبور ونصب التماثيل فيها فذكر تسوية القبور بجنب طمس التماثيل فى خبر ابى الهياج يرشد الى وروده فى تلك القبور - ويؤيد ذلك انّ المسلمين فى ذلك العصر لم يكونوا فى خفض عيش ورحب دعة والأسلام لم يكن ثابتاً على ساقه حتى يجدوا فرصة للبناء على القبور وكان الصحابة متساوون فى فضيلة الصحبة لا داعى الى ترجيح احدهم بامثال هذه الامور فاين كانت فى ذلك العهد قبور للمسلمين يكون البناء عليها حتى يؤمر بهدمها وطمسها ولو فرض ان كانت هناك قبور مبنية للمسلمين فكان النبى ص حيا . لم تركهم يبنون عليها حتى يحتاج الى الأمر بهدمها ؟

(وامّا) قبور الانبياء فمقطوع انّ امر الهدم لم يكن متعلقاً بها والّا فكيف بقيت قباب الانبياء منتشرة فى شرق الأرض وغربها كقبر دانيال فى شوستر وقبر هود وصالح ويونس وذى الكفل ويوشع افى بابل والغرى وكقبور الانبياء

المدفونين عند البيت المقدّس وبناء الحجر على قبر اسماعيل وامّه هاجر وقبر ابراهيم الخليل بفلسطين الّذى اعترف ابن تيمية بوجود البناء عليها فى عهد عمر

ويقطع من جميع ماذكرنا بانّ الأمر بالهدم كان متعلقاً بقبور الكفّار (ومنها) انّه ع قال ولا قبراً مشرفاً الّا سوّيته والمشرف المرتفع كما صرّح به اهل اللّغة فالأمر بالتسوية انما هو اذا كان نفس القبر مرتفعا كما فى قبور النصارى المرتفعة من الأرض المبنيّة بصورة المنارة اومسنما واما اذا كان نفس القبر مسطحاً ولكن بنى حوله قبّة عالية فلا يصدق عليه انه القبر المشرف

(والحاصل) انّ الحديث دالّ على وجوب تسطيح القبر الذى يقول به الشافعية واصحابنا الاماميّة ولذا رواه شيخ المحدثين العلامة الحرّ العاملى فى باب تسطيح القبر من كتاب الوسائل وقال المحدث النووى شرحاً لهذا الحديث فيه انّ السنّة انّ القبر لا يرفع عن الارض رفعا كثيراً ولا يسنم بل يرفع نحو شبر وهذا مذهب الشافعى ومن وافقه (انتهى) وقال الامام القسطلانى فى شرح البخارى فى ادلّة تسطيح القبر انّه لايخالف ذلك قول علىّ رض امرنى رسول اللّه ص ان لا ادع قبراً

مشرفاً الّا سوّيته لانّه لم يرد تسويته بالارض وانما اراد تسطيحه جمعاً بين الاخبار ونقله في المجموع عن الاصحاب انتهى

(ومنها) انّ لفظ التسوية اذا كان مطلقاً فمعناه تعديل الشيء الذى يراد تسويته (١) ولو كان المعنى جعله مساويا لشيء اخر فلا بد من ذكر ما يراد التسوية معه فلفظ الحديث ولا قبراً مشرفا الّا سوّيته من هذه الجهة ايضاً لا يدل الّا على تعديله وتسطيحه بازالة سنامه لا التسوية بوجه الأرض والّا لكان حق العبارة ان يقال الا سوّيته بالارض ولو كان المراد التسوية بالارض فكيف رفع النبي ص قبر عثمان بن مظعون كما ورد في الخبر وستجيء رواية اخرى فيها انّ رسول الله ص رأى رجلا متكئا على قبر والاتكاء لا يعقل الّا مع ارتفاعه من الأرض في الجملة! قولهم (واما اتخاذ القبور مساجد والصلوة فيها فممنوع ايضاً) اقول لعل المستند قول النبي

---

(١) قال الفيومي في المصباح المنير استوى المكان اعتدل وسوّيته عدلته وفي القاموس سوّيته به تسوية وسوّيت بينهما وساويت واسويته به وهما سواءان وسيّان مثلان ثم قال مكان سوى كغنى وسِيّ كزِيّ مستو وسوّاه تسوية واسواه جعله سويّا ١٢ منه دام فضله

صلى الله عليه وآله لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد ولكن معناه الصحيح هو ماذكره المحدث الفتنى فى مجمع البحار وهو انهم كانوا يجعلونها قبلة يسجدون اليها فى الصلوة كالوثن (وقال) الحافظ السيوطى فى كتابه زهر الربى شرحا للحديث المذكور اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا قال البيضاوى لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور انبيائهم تعظيما لشانهم ويجعلونها قبلة يتوجهون فى الصلوة نحوها واتخذوها اوثانا لعنهم ومنع المسلمين من مثل ذلك فامّا من اتخذ مسجدا فى جوار صالح وقصد التبرّك بالقرب منه لا التعظيم له ولا التوجه نحوه فلا يدخل فى ذلك الوعيد انتهى

وقال العلامة السندى المدنى فى حاشية النسائى اراد بذلك ان يحذّر امته ان يصنعوا بقبره ماصنع اليهود والنصارى بقبور انبيائهم من اتخاذهم تلك القبور مساجد امّا بالسجود اليها تعظيماً لها او بجعلها قبلة يتوجهون فى الصلوة نحوها قيل ومجرد اتخاذ مسجد فى جوار صالح تبركا غير ممنوع انتهى

وقد تقدّم سابقاً ما يدلّ على جواز المسجد على القبر فمنها قوله تع

وقالوا لنتخذن عليهم مسجدا) (ومنها) ما عن محمد بن الحسن المتوفى سنة ٨١ من وجود المسجد على قبر فاطمة بنت اسد فى ذلك الزمان (ومنها) ما عن عبد العزيز من كون المسجد على قبر حمزة فى المائة الثانية ونزيد على ذلك كله ههنا ما اخرجه المناوى فى الكنوز عن الديلمى عنه ص آن بمسجد الخيف قبر سبعين نبيا ورواه فى موضع آخر عن الطبرانى وبذلك ينكشف حقيقة ما ادّعاه ابن قيم من انه لا يجتمع فى دين الاسلام مسجد وقبر بل ايهما طرء على الآخر منع منه وكان الحكم للسابق انتهى

﴿ والمعنى الثانى للحديث ﴾ هو ما فهمه الامام البخارى وذلك انّ اليهود والنصارى نبشوا مقابر انبيائهم واتخذوا مكانها مساجد فلعنهم الله على اهانة الأنبياء كما قال فى صحيحه هل ينبش قبور مشركى الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد لقول النبىّ ص لعن الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد قال صاحب فتح البارى فى شرحه ما معناه انّ الاستدلال بهذا الحديث على اتخاذ قبور الكفّار مساجد انما هو بتقريب انّ النبى ص لعن الّذين اتخذوا مقابر انبيائهم مساجد ويلحق بهم اتباعهم من المؤمنين وامّا غيرهم من المشركين فيجوز اتخاذ مقابرهم

مساجد انتهى ﴿ اقول ﴾ لولم يكن معنى الحديث ماذكرنا من انهم نبشوا مقابر الانبياء واتخذوا مكانها مساجد لما استفيد من مفهومه جواز نبش مقابر المشركين واتخاذها مساجد واذا تحقق ذلك فهذا الحديث سيف قاطع لهذه العقيدة فانّ النبيّ ص لعنهم على تخريب مقابر الانبياء ولو كان لاتخاذ المساجد لكونه اهانة لهم فما ظنك بقوم يخربون مقابر الانبياء والائمة والصلحاء من غير اتخاذها مساجد ـ؛

(اما) الصلوة فى المقابر فلا دليل على حرمتها وانما الجمهور على الكراهة التنزيهية ويؤيد ذلك ذكرها فى سياق المكروهات وقد ذكر الغزالى فى احياء العلوم عن الامام جعفر بن محمد عن ابيه انّ فاطمة ع بنت النبيّ ص كانت تزوّر حمزة وتصلي وتبكى عنده على انه كما قال المحدث الفتنى فضيلة الصلوة فى حجر اسماعيل مع كون مرقده ع هناك (١) اقوى دليل على جواز الصلوة عند القبر

وقال ابن الاثير فى النهاية انّ النهى عن الصلوة فى المقابر لاختلاط

---

(١) روى المناوى فى الكنوز عن الحكيم الترمذى فى النوادر قوله ع انّ قبر اسماعيل فى الحجر ورواه ايضا عن الديلمى ١٢

ترابها بصديد الموتى والّا فان صلى فى مكان طاهر منها صحت صلوته (انتهى) وكذا قال المحدّث الفتنى فى مجمع البحار الّا انّه زاد قوله والنهى مختص بمقابر منبوشة لاختلاط المذكور انتهى

وامّا ما يستشهد به على حرمة الصلوة عند القبور من النهى عن اتخاذها مساجد فقد تقدّم المراد منه ويؤكده صريح مارواه المناوى فى الكنوز واخرجه ابن حبّان فى صحيحه انّ النبى ص نهى عن الصلوة الى القبور وروى احمد بن حنبل عن النبيّ ص انّه قال لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها ذكره ايضا المناوى فى الكنوز وروى عن الطبرانى قوله ص لا تصلوا الى قبر ولا على قبر وبعد ذلك لا يبقى شك فى معنى تلك الأحاديث والصلوة عند اثار الصالحين للتبرّك بها ممّا جرى عليه سيرة السلف ويعاضدها قوله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وكان عبد الله بن عمر يتبع آثار النبى ويصلى عندها وقد ذكر ابن تيمية الحنبلى فى الصراط المستقيم كما نقل عنه فى الاوراق البغدادية قال سندى الخواتيمى سئلنا ابا عبد الله يعنى احمد بن حنبل عن الرّجل ياتى هذه المشاهد ويذهب اليها ترى ذلك قال امّا على

حديث ابن مكتوم انه سئل النبي ص ان يصلي في بيته حتى يتخذ ذلك مصلى وعلى ما كان يفعل ابن عمر رض يتبع مواضع النبي ص واثره فليس بذلك بأس ان يأتي الرجل المشاهد الا ان الناس قد افرطوا فيه جدا واكثروا فيه وكذلك نقل عنه احمد بن القاسم انه سئل عن الرجل يأتي هذه المشاهد التي بالمدينة وغيرها فقال اما على حديث ابن مكتوم وعلى ما كان يفعل ابن عمر يتبع مواضع سير النبي ص فلا بأس ورخص فيه انتهى

(وفي) كتاب الاعلام لاعلام بيت الله الحرام بعد ذكر دار خديجة قال اخذها عقيل بن ابي طالب ثم اشتراها منه معاوية بن ابي سفيان فجعلها مسجدا يصلي فيه كذا ذكره الازرقي انتهى فالصلوة عند آثار الانبياء والصالحين ومشاهدهم سائغ شرعا لم يقم دليل على حرمتها بل سيرة السلف تنطق بجوازها ! قولهم (وايقاد السرج عليها ممنوع ايضاً لحديث ابن عباس لعن رسول الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج رواه اهل السنن) (اقول) ان النهي عن زيارة القبور قد نسخه النبي ص كما هو مصرح به في تحفة الباري وفي ارشاد الساري للقسطلاني وغيرهما فارجع ولسنا نريد اطالة الكلام في هذا

المقام لان أئمة القوم كابن تيمية وابن القيم ليسوا منكرين لمشروعية الزيارة كما يظهر من كتبهم غاية الامر انهم يحرمون شدّ الرحال لذلك وقد تقدّم القول الفصل فى ذلك ؛

(واما) اتخاذ القبور مساجد فقد سبق الكلام فيه وبقى الكلام فى اتخاذ السرج فقد قال المحدث الفتنى فى مجمع البحار نهى عن الاسراج لانه تضييع مال بلا نفع واحترازا عن تعظيم القبور كاتخاذها مساجد وان كان ثم مسجدا وغيره ينتفع فيه للتلاوة والذكر فلا بأس بالسراج فيه انتهى ولا ريب ان الأسراج لمجرد الزينة والزخرفة لا نقول باستحسانه وانما نقول به لأعانة الزائرين والتالين للكتاب والذاكرين لله فى ذلك المقام الشريف فانه لا يدخل فى النهى

(قولهم) واما ما يفعله الجهال عند الضرائح من التمسح بها والتقرب لها بالذبح والنذر ودعاء اهلها مع الله فهو حرام ممنوع شرعا لا يجوز فعله اصلاً (اقول) اما التمسح والدعاء فقد تقدم منا القول فى ذلك ونزيد ههنا ان التمسح بآثار النبى ص وقبره مما نقل عن سيرة الصحابة والتابعين وقد ذكر تقى الدين ابن تيمية فى كتابه الصراط المستقيم ناقلا عن ابى بكر الاثرم قلت

لأبي عبد الله يعني احمد بن حنبل قبر النبي ص يمس ويتمسح به فقال ما اعرف هذا قلت له فالمنبر فقال امّا المنبر فنعم قد جاء فيه شيء يروونه عن ابن ابي فديك عن ابن ابي ذئب عن ابن عمر انّه مسح على المنبر قال ويروونه عن سعيد بن المسيب في الرمانة انتهى فانظر انّ الامام احمد بن حنبل مع ماله من غزارة العلم لم يتجرأ على التصريح بحرمة التمسح بقبر النبيّ ص بخلاف هؤلاء الذين يدّعون اتباعه والاقتفاء لاثاره على انّه صرّح بجواز التمسح بالمنبر ومعلوم انّ قبر النبيّ ص اعظم قدرا من منبره — وامّا قوله في التمسح بالقبر انّي لا اعلم ذلك فلعله اشتباه من الراوي فانّ ولده عبد الله بن احمد بن حنبل الّذي هو اعرف بمذهب ابيه من غيره نقل في كتاب العلل والسؤالات (١) قال سألت ابي عن الرّجل يمس منبر رسول الله يتبرك بمسه وتقبيله ويفعل بالقبر ذلك رجاء ثواب الله فقال لا بأس به وروى ابن تيمية عن يحيي بن سعيد انه حيث اراد الخروج الى العراق جاء الى المنبر فمسحه ودعاه ونقل عن مالك التبرك بالمنبر وقال السبكي منع المسح

(١) ذكره العلامة الكبير السيد حسن صدر الدين الكاظمي دامت بركاته في رسالته ١٢

بالقبر ليس ممّا قام الاجماع عليه واستدل بما روى عن المطلب بن عبد الله قال اقبل مروان بن الحكم واذا رجل ملتزم القبر فاخذ مروان برقبته وقال ما تصنع فقال انى لم ات الحجر ولا اللبن انما جئت رسول الله وذكر رواية احمد قال وكان الرّجل ابا ايوب الانصارى وكذا حكى عن بلال مؤذن النبي ص انّه مرغ وجهه بقبر رسول الله ص وهذا مستفيض عن سيرة المسلمين من الصدر الاول الى اليوم —

(واما) التقرّب لها بالذبح والنذر فلا ريب انّ من تقرب بهما الى غير الله فهو عاص يبطل نذره ويحرم ذبيحته واما من ذبح ذبيحته تقرباً الى الله بتقسيمها بين الفقراء الزائرين لقبر معين اهداء الثواب هذه الصدقة الى صاحب المشهد فلا دليل على حرمته وكذلك من نذر لله انه لو قضى حاجته فيهدى شيئا الى المشهد الفلانى ليصرف الى معونة الزائرين والفقراء فى هذا المشهد فهو ايضاً نذر منعقد لكونه فى طاعة الله عزّ وجل

(قولهم) واما التوجه الى حجرة النبي ص عند الدعاء فالاولى منعه كما هو معروف من معتبرات كتب المذهب وافضل الجهات جهة القبلة ﴿ اقول ﴾ هذا جهل واغضاء عن حرمة قبر النبي

فقد صرح العلماء ومنهم علي بن برهان الدين الشافعي المحدث في انسان العيون والحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى بان قبره ص افضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة المشرفة بالأجماع وقال بعضهم وافضل من بقاع السماء ايضاً حتى من العرش وقد تقدم في مبحث التوسل مايدل على ذلك من رواية القاضي عياض ان ابا جعفر الدوانيقي قال للامام مالك يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعوام استقبل رسول الله ص فقال له الامام مالك يا ابا عبد الله ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم ع وقال العلامة المحقق الكمال ابن همام ان استقبال القبر الشريف افضل من استقبال القبلة —

واستدل عليه العلامة ابن حجر المكي في الجوهر المنظم بانا متفقون على انه ص حي في قبره يعلم بزائره وهو ص لو كان حيا لم يسع الزائر الا استقباله واستدبار القبلة فكذا يكون الأمر حين زيارته في قبره الشريف ص —

(قولهم) واما الطواف بها والتمسح بها وتقبيلها فهو ممنوع مطلقاً ﴿ اقول ﴾ قد سبق الكلام التفصيلي في كل ذلك مضافا الى مايدل على جواز التقبيل مما تقدم آنفا من رواية عبد

الله بن احمد بن حنبل عن ابيه قال سألته عن الرجل يمس منبر رسول الله يتبرك بمسه وتقبيله ويفعل بالقبر ذلك رجاء ثواب الله فقال لا بأس به (انتهى) والظاهر ان تقبيل القبر بعد الموت كتقبيل اليد في الحياة لوجود الملاك وهو التعظيم فيهما على السواء وقد روى في سنن ابي داود عن عبد الله بن عمر قال فدنونا يعني من النبي ص فقبلنا يده وعن ام ابان بنت الوازع بن زارع عن جدها زارع وكان في وفد عبد القيس قال لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا نقبل يد رسول الله صلى الله عليه وآله ورجله انتهى

(وقد ابطلنا) بحمد الله كل ما نسجه القوم وجعلناه هباء منثورا وثبت ان بناء القبة على القبور وتعظيمها مما لا دليل على حرمته بل المعلوم من سيرة النبي والصحابة ومن اتبعهم باحسان وسائر المسلمين الى وقتنا هذا الاهتمام في ذلك والاعتناء به فاذا مخالفه راد على الدين خارج عن الجماعة

﴿ الباب السادس ﴾

﴿ بعض ما جاء في اهل نجد من اخبار النبي والسلف الصالحين ﴾

(منها) ما رواه البخاري في الصحيح عن النبي ص انه قام الى

جنب المنبر وقال الفتنة هيهنا الفتنة هيهنا من حيث يطلع قرن الشيطان او قال قرن الشمس وفى هذا الحديث بناء على النسخة الثانية اى يطلع قرن الشمس لاخفاء فى انّ اشارته صؐ كانت الى المشرق وامّا على النسخة الأولى فلا شك انّ فيه ابهاما من حيث عدم العلم بكون اشارته عؑ الى اىّ جهة من الجهات ولكن فى حديث آخر عن ابن عمر انّه سمع رسول الله صؐ وهو مستقبل المشرق يقول الا انّ الفتنة هيهنا من حيث يطلع قرن الشيطان ولا يخفى على من جاس خلال التاريخ انّ ارض نجد فى مشرق المدينة

(ومنها) ما رواه مسلم فى الصحيح قال صؐ غلظ القلوب والجفاء فى المشرق والأيمان فى اهل الحجاز فهل ترى انّه صؐ لمّا قابل المشرق بارض الحجاز اراد غير نجد ؟

وقد اخبر انّ اهل الحجاز هم المؤمنون واهل نجد غلظاء القلوب جفاة وهؤلاء الوهّابيون عكسوا الحكم فقالوا انهم هم المؤمنون واهل الحجاز كفار مشركون وان كان لمشكك ان يقول انّ المراد بالمشرق غير ارض نجد من بلاد اخرى فقد صرّح صؐ فى الخبر الاخر بما ازال هذا الابهام ففى صحيح البخارى عن ابن عمر قال

ذكر النبى ص قال اللهم بارك لنا فى شامنا اللهم بارك لنا فى يمننا قالوا وفى نجدنا قال اللهم بارك لنا فى شامنا اللهم بارك لنا فى يمننا قالوا يا رسول الله وفى نجدنا فاظنه قال فى الثالثة هناك الزلازل والفتن و بها يطلع قرن الشيطان وهذا الحديث كما اخبر فيه بان ارض نجد محل غلبة الشيطان كذلك يدل على انها مبغوضة الى الله ورسوله فان النبى لم يدع لها مع الالحاح من الصحابة فتحقق ان رحمة الله بعيدة عن هذه الارض بمراحل ولا يخفى ان الحديث المذكور ليس مقصورا على كتب اهل السنة بل ذكره ايضاً شيخ المحدثين العلامة النورى طاب ثراه فى كتابه مستدرك الرسائل فراجع

(ولا يخفى) على اهل العربية ان قوله ص منها يطلع قرن الشيطان استعارة لظهور غلبته (١) بمعنى ان اهل نجد كمثل السلاح للشيطان بهم يبطش و بهم يصول و بهم ياخذ ما اراد ؛

ثم اذا نظرت الى قول النبى صلى الله عليه وآله ان الايمان ليارز الى المدينة كما تارز الحية الى جحرها (ذكره ابن اثير الجزرى فى النهاية)

---

(١) فى القاموس قرن الشيطان و قرناه امته والمتبعون لرايه او قوته وانتشاره وتسلطه ١٢ منه

وقوله ص (انّ الشيطان قد يئس ان يعبد فى جزيرة العرب) المتيقن وروده فى مكة والمدينة (١) لاًعجبك كل العجب انّ الارض التى صرّح النبىّ ص بكونها مطلع غابة الشيطان وعاصمته يدّعى اهلها انهم هم المؤمنون ويسمون اهل البلاد التى اخبر بانهم باعدون عن عبادة الشيطان كفارا ومشركين والعجب انهم يبالغون فى حمل الكلمات على حقائقها وينكرون التأويل والتجوّز فيها ولكنهم اذا عرض عليهم امثال هذه الاحاديث طفقوا يعدون فى ارتكاب التأويل الى اقصى نقطة ويقولون انّ المراد من ارض نجد هو العراق لوقوعه اعلى من ارض الحجاز ولكنك لو تأمّلت كتب اللّغه وكلام العرب لعلمت موقع هذا الكلام من الحقيقة وانّ لفظة نجد كلما تطلق بلا قيد اخر يراد منها نجد الحجاز ويقابلها ارض تهامة التى تسمى الغور ايضاً على انّ الحديث المذكور قد تضمن لفظة واحدة تقلع موادّ هذه الشبهة , ذلك انّ الصحابة لم يقولوا وفى نجد بل قالوا وفى نجدنا ولا شك انّ القائلين من اهل الحجاز والاضافة الى جمع

---

(١) فى نهاية ابن اثير قال مالك بن انس اراد بجزيرة العرب المدينة نفسها ١٢ منه

المشكلم لتعيين نجد الحجاز هذا

وقد ذكر المحدّث الفيروزابادى فى القاموس معنى نجد وحدوده فقال اعلاه تهامة واليمن واسفله العراق والشام واوّله من جهة الحجاز ذات عرق انتهى وقال الجوهرى فى الصحاح نجد من بلاد العرب وهو خلاف الغور والغور تهامة وكلّ ما ارتفع من تهامة الى ارض العراق فهو نجد (انتهى) وقال الفيومى فى المصباح المنير تحقيقاً للفظ نجد بلاد معروفة من ديار العرب ممّا يلى العراق وليست من الحجاز وان كانت من جزيرة العرب قال فى التهذيب كلّ ماوراء الخندق الّذى خندقه كسرى على سواد العراق فهو نجد الى ان تميل الى الحرّة فاذا ملت اليها فانت فى الحجاز انتهى

ونقل السيد محمود شكرى الألوسى فى تاريخ نجد قريبا من عشرة اقوال فى تحديد نجد كلها شاهدة على انّ ارض العراق خارجة من مسمى نجد

وايضاً شعراء العرب قد اطلقوا نجدا فارادوا منه هذه الأرض لا ارض العراق بل جعلوه فى قبالها (قال الاموى)

فانّك ان اعرقت والقلب منجد * ندمت ولم تشمم عراراولا رندا

وقال

اتنجد ان فوادا شيقا علقت * به الصبابة ان اتهمتما جسدا

وفى قاموس الامكنة والبقاع بلاد نجد هى الواقعة شرقى بلاد الحجاز وهى قسمان نجد الحجاز ونجد العارض وقد خرج منها القرامطة ومسيلمة الكذّاب والوهّابيون وعاصمتها مدينة الرياض سكانها ثلاثين الفا انتهى وقد ظهر بذلك انّ المراد من بلاد نجد ارض الوهّابية وهى واقعة فى مشرق الحجاز وهنالك لا يبقى حجاب على الاخبار المتقدّمة ـ

(ومنها) مارواه شيخ الاسلام السيد احمد بن زينى دحلان فى خلاصة الكلام قال سيظهر من نجد شيطان تتزلزل جزيرة العرب من فتنته انتهى

(ومنها) مارواه ايضاً من قوله ص يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرّمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه يعنى موضع الوتر سيماهم التحليق انتهى وفى معناه روايات اخر قال فى خلاصة الكلام بعد ما نقلها برمّتها وفى قوله ص سيماهم التحليق تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد

ن عبد الوهاب فيما ابتدعه لانهم كانوا يامرون من اتبعهم ان يحلق براسه لا يتركونه يفارق مجلسهم اذا تبعهم حتى يحلقوا راسه ولم يقع مثل ذلك قط من احد من الفرق الضالة التى مضت قبلهم ان يلتزموا بمثل ذلك فالحديث صريح فيهم وكان السيد عبد الرحمن الاهدل مفتى زبيد يقول لا يحتاج التاليف فى الرد على ابن عبد الوهاب بل يكفى فى الرد عليه قوله ص سيماهم التحليق فانه لم يفعله احد من المبتدعة وكان محمد بن عبد الوهاب يامر ايضا بحلق رؤس النساء اللاتى يتبعنه انتهى

(ومنها) ما رواه علامة المحدثين الشيخ المجلسي قده فى مجلد الفتن من البحار عن ابى سعيد الخدرى قال بعث على ع وهو باليمن الى النبي ص بذهيبة فى تربتها فقسمها بين اربعة الاقرع بن حابس وعينية بن بدر الفزارى وعلقمة بن علاثة العامرى وزيد بن الخيل الطائى فتغضبت قريش والانصار فقالوا يعطيه صناديد اهل نجد ويدعنا قال انما اتالفهم فاقبل رجل غائر العينين ناتى الجبينين كث اللحية مشرف الوجنتين محلوق الراس فقال يا محمد اتق الله قال فمن يطيع الله اذا عصيته فيامننى على اهل الارض ولا تامنونى فسأل رجل من القوم قتله اراه خالد بن الوليد

فمنعه فلما ولى قال انّ من ضئضئ هذا قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الأسلام مروق السهم من الرّمية يقتلون اهل الأسلام ويدعون اهل الاوثان لئن ادركتهم لقتلتهم قتل عاد وفى رواية اخرى قيل ما سيماهم قال سيماهم التحليق او قال التسبيد فاذا رأيتموهم فانموهم قال فى النهاية بعد ذكر بعض الخبر الضئضئ الاصل يقال ضئضئ صدق وضؤضؤ صدق وقال فى حديث الخروج التسبيد فيهم فاش هو الحلق واستيصال الشعر (انتهى) وقد ذكر فى رواية اخرى انّ الرّجل هوذو الخويصرة من قبيلة بنى تميم وح فالمستفاد من الحديث امران

(الأول) انّ اهل نجد لم يزالوا اعداء للاسلام ولذا كان النبيّ صلىّ الله عليه وآله يتألفهم ويعطيهم اكثر مايعطى غيرهم من المؤمنين المخلصين

(الثانى) ماذكرص فى ذى الخويصرة التميمى انّ من ضئضئ هذا قوما يقرؤن القرآن الخ وقد ذكرنا سابقاً انّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى من قبيلة بنى تميم وحينئذٍ فالظاهر انّ المراد من قوله ضئضئ هذا قبيلته لانسله وعقبه كما توهمه الناس

«وهل يشك فى هذا بعد انطباق جميع الأوصاف المذكورة فى الخبر على القوم؛ أوما بلغك قتلهم اهل الاسلام ام هل سمعت قتلهم لاحد من اهل الاوثان قط ؟ أليس سيماهم التحليق او التسبيد كما تقدّم من عبارة خلاصة الكلام ؟ هذا مع ما يدعى من كثرة قرأتهم للقرآن . امّا المروق من الأسلام فنكل امره الى المنصف العاقل فتدبّر

(ومنها) ما رواه امام المحدثين ثقة الأسلام ابو جعفر الكلينى طاب رمسه فى روضة الكافى عن الأمام ابى عبد الله جعفر بن محمد الصادق صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين فى خبر طويل يبّين ع فيه ايات زمان الفرج والنجاة قال فى ضمنه (منها) ورأيت الصلوة قد استخف بها ورأيت الرّجل عنده المال الكثير لم يزكه منذ ملكه ورأيت الميت ينشر من قبره ويؤذى ورأيت الحرمين يعمل فيهما ما لا يحب الله لا يمنعهم مانع ولا يحول بينهم وبين العمل القبيح احد ورأيت الميت يهزأبه فلا يفزع له احد فكن على حذر واطلب من الله النجاة انتهى ما اردنا نقله فهل ترى يا ايّها الناظر المؤمن بالله ورسوله هذا الكلام الصادق وظهوره فى هذا الزمان الا ترى الميت ينشر

تراب قبره ويؤذى الا ترى الحرمين يعمل فيهما مالا يحب الله
لا يمنعهم مانع ولا يحول بينهم وبين العمل القبيح احد ؟
اما سمعت من استهزاء الاموات ان هؤلاء الوهابيين لما اخذوا
يهدمون مولد النبي ص قالوا هذا الموضع الذى ولدت فيه تلك
المرأة ذلك المولود يريدون آمنة رضي الله عنها والنبي ص
وقالوا عند ما هدموا قبر خديجة طالما عبدت الناس نفسك
فالان قومى وامنعينا الى غير ذلك مما تواتر نقله وهذا قليل من
كثير اردنا به التنبيه على حقيقة حال هذه الفرقة والا فالاخبار التى
تدل على تلك الاحوال كثيرة لا نطيق فى هذا المقام ان نحصيها
ومن لم يكفه اليسير لا يكفه الكثير ؛

الباب السابع

﴿ فى اعمال الوهابية من اول يوم بروزهم الى العصر الحاضر ﴾

(اعلم) ان هؤلاء القوم قد ظهروا فى سنة ستين بعد المائة
والألف من الهجرة ومنذ نشأوا فى العيان جبلوا على سفك
دماء المسلمين فان رئيسهم محمد بن سعود بايع محمد بن عبد
الوهاب على قتال مخالفيه وسفك دمائهم يسميه جهاداً
فى سبيل الله

فما ظنك بقوم اساس مذهبهم على تجويز سفك دماء المسلمين هل يمنعهم مانع عن ذلك او يرقبون فى مؤمن الّا او ذمّة ؟

ولذلك منذ اخذ امرهم فى الارتفاع فكم سفكوا من دماء وكم جرّوا من حرمة وكم اسروا من النساء وكم قتلوا من الصبيان وكم حزّوا من الاعناق وذلك كله صبغهم فى المسلمين ولم يقتل بايديهم فى سائر عمر ملّتهم بعوضة فما فوقها من جنود المشركين او الكفار —

ثم لما استقامت قناة سيطرتهم على جهال نجد طمحوا باعينهم الى ماوراءهم من المسلمين فتوثبوا مرارا على العراق فى زمان سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود وذكر صاحب مفتاح الكرامة قدس سره الوهابية فى اواخر اكثر مجلدات الكتاب المذكور كالضمان والشفعة والوكالة وهو معاصر لسعود بن عبد العزيز المذكور ومشاهد لوقائعه فى العراق

وفى ذلك الزمان دخلوا الحرمين الشريفين وقهروا شريف مكة واتباعه بعد ان قامت الحرب بينه وبينهم من سنة ١٢٠٥ الى سنة ١٢٢٠ واستباحوا الحرمين فجعلوهما دار حرب ونهبوا كل ما كان فى الحجرة النبويّة من الاموال والجواهر وصرفوها الى ماشاؤا

واحبوا (١) ومنعوا المسلمين من الحج فنادى مناديهم فى الموسم (يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) فانقطع مجيئ الحج الشامى والمصرى من هذا العام وهو سنة ١٢٢١ (٢) وفى سنة ١٢٢٣ قال ابن السعود لاهل مكة اطلعوا للقبب واهدموها واطرحوا الاصنام وارموها حتى لايكون لكم معبود غير الله فلما اصبح صباح الغد تفرق الناس وهم سارحون بالمساحى لهدم القبب فبادر الوهابيون ومعهم كثير من الناس لهدم المساجد ومآثر الصالحين فهدموا اولا مافى المعلى من القبب فكانت كثيرة ثم هدموا قبة مولد النبى ص ومولد ابى بكر وقبة سيدتنا خديجة رضى الله عنها وتتبعوا جميع المواضع التى فيها آثار الصالحين وهم عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل ويغنون وبالغوا فى شتم القبور التى هدموها وقالوا ان هى الا اسماء سميتموها كما ذكر العلامة ابن دحلان فى تاريخه وكذا هدموا جميع القباب فى المدينة

---

(١) هذا مذكور مفصلا فى تاريخ عجائب الآثار للجبرتى وهو ممن يميل الى الوهابيين ويصوب افعالهم كما يظهر من مواضع من كتابه ١٢

(٢) خلاصة الكلام للسيد احمد بن زينى دحلان ١٢ منه

سوى القبة النبوية وفعلوا بالبقيع ما فعلوا ولم يزالوا فى غلوائهم الى ان اخرجهم المصريون من الحرمين بجنود لا قبل لهم بها ونشبت الحرب بين الطائفتين وحمى الوطيس فكانت الدائرة عليهم وظهر المسلمون فصدر الامر فى شعبان سنة ١٢٣٤ من محمد على باشا صاحب مصر الى رئيس عسكره فى نجد ابراهيم باشا وهو فى الدرعية ان يهدم الدرعية ويدمرها

فابتدر العسكر الى هدمها واحراقها مسرعين وتفرق اهلها شذر مذر كايادى سبا فذاقوا وبال ما صنعوا وتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ولكنهم كما اخبر امير المؤمنين ع فى الخوارج ما قطع منهم قرن الا ونجم قرن آخر لم يستاصل جنودهم باعراقها وبقيت بعد فى بلادهم حتى تأيدوا ثالثا بالسيف والغلبة واشتدت شوكتهم فأتوا ارض العراق فنقبوا فيها البلاد وجاسوا خلال الديار ودخلوا كربلاء فقتلوا الوفا من المسلمين وما رعوا لهم حقاً ولا حرمة ولم يرقبوا فى مؤمن الا ولا ذمة واهانوا الحرم الشريف الحسينى كما فعل مسلم بن عقبة بالحرم النبوى يوم الحرة فالقوا فيها القاذورات وتجرؤا على الضريح الشريف فقلعوه من مقامه ونهبوا سائر ما فى المشهد من الاموال والجواهر

وامّا ارض المباركة نجف فلم يستطيعوا ان يدخلوها وقد خاصروها ليالى وايّاماً فكافحهم قضاء الله وولوا على ادبارهم ناكلين نادمين بعد ان هلك كثير منهم كما لا يخفى على من القى السمع وهو شهيد فأن هذا الامر مشهود بالأعين متواتر على الألسن ؛

ثم لم يرع لهم ناجمة وبقوا فى بلادهم قائمين على افعالهم خاملين فى ذكرهم حتى الان فظهر امرهم رابعا من عدّة اعوام فصنعوا افعالا اهتزّت بها ملّة الاسلام وتزلزلت القلوب وارعدت الفرائص وهذا عبد العزيز من آل السعود منذ تمكن على عرش الامارة وتردّى رداء الرّياسة فعل افعالا يعلمها كل الناس واوّل ما بلغنا عن جيوشه قتلهم فى الطائف عامّة المسلمين والصالحين المخلصين فكم من اعناق كريمة قطعت بالسيوف وكم من نفوس عزيزة شربت الحتوف وجعلوا اعزّة اهلها اذلّة واوقعوا كرامها فى ذلة وكفّروا سائر المسلمين وهدموا قبة ترجمان القرآن امام المفسرين عبد الله بن عباس رض ثم انهم لما بلغوا مكة المشرّفة هدموا جميع القباب المتبرّكة كقبة عمّ النبىّ ابى طالب وجده عبد المطلب وزوجته خديجة الطاهرة امّ المؤمنين وامّه آمنة بنت

وهب ولو اغضينا النظر عما لهم من الفضائل لكفى في حرمة اهانتهم كونهم من قريش فقد روى الامام احمد بن حنبل الذي يدعى الوهابية انهم على مذهبه في كتابه المسند قال رسول الله ص من اهان قريشا اهانه الله ولا شك ان هدم القبر اهانة اصاحبه وقد رأى النبي ص رجلا متكئاً على قبر فقال لا تؤذ صاحب القبر فما بال القوم يضربون على القبور المعاول فاي ايذا أشد من هذا على صاحب القبر (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) وتلك افعال قد ظهرت منهم في حرم الله اقلقت المسلمين وجرعتهم نغب الهمام انفاسا فلم يلبثوا حتى دخلوا حرم النبي ص المدينة الطيبة وبلغت المسلمين من ايديهم حادثة اخرى انستهم الحوادث الاولى وهي هدم القباب والمشاهد التي كانت في البقيع وغيره وفيها قبور لازواج النبي واصحابه واهل بيته وبناته فمنها قبر عثمان بن مظعون وقبر عبد الله والد النبي وقبر ابراهيم بن النبي ص وقبة امهات المؤمنين ازواج النبي ص وقبور صحابة النبي كعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وعقيل بن ابي طالب وقبر العباس بن عبد المطلب واعظم من ذلك ان منها قبر سيدة نساء العالمين بضعة النبي فاطمة الزهراء ع وقد صرح غير

واحد من علماء اهل السنة كالمؤمن الشبلنجي فى نور الأبصار ومحمد بن الصبان فى اسعاف الراغبين وابى العباس احمد بن يوسف الدمشقى فى اخبار الدول وآثار الاول وعلىّ بن برهان الدين الشافعى فى انسان العيون وابن عبد البر فى كتاب الاستيعاب وغيرهم بكون قبرها عليها السلام بالبقيع فلا ينبغى للوهابيين التشكيك فى ذلك ومنها قبور أئمة اهل البيت وهم السبط الاكبر خليفة النبىّ باجماع المسلمين الامام الحسن بن علىّ ع وزين العابدين على بن الحسين ع والامام محمد بن على باقر علوم الاولين والاخرين والامام جعفر بن محمد الصادق عليهم الصلوة والسلام وهؤلآء مناقبهم مذكورة فى الصحاح والمسانيد وكتب القوم فارجع اليها ولا يخفى انّ قبور أئمة اهل البيت كلها كانت فى قبة واحدة لو تتبعت كلمات الاعلام لوجدتهم مطبقون على شرف هذه القبة المباركة فقال الحافظ ابن حجر فى الصواعق المحرقة فى ترجمة الامام جعفر بن محمد الصادق ع دفن فى القبة المذكورة فالهم من قبة ما اكرمها وابركها واشرفها وقال المحدّث محمد البخارى صاحب فصل الخطاب فى ترجمة الامام على بن الحسين دفن فى القبة التى فيها العباس وعمه الحسن ثم دفن فيها ابنه محمد الباقر

وابنه جعفر الصادق فلله درّها من قبة ما اكرمها واشرفها الى غير ذلك من كلمات اساطين الامّة

خاتمة

يا معشر المسلمين الان قد بلغ السيل الزّبى وجاوز الحزام الطبيين وخابت الامال وضاقت الصدور وتاهت الامور وتزعزع بنيان الاصطبار وما بقيت القلوب على قرار .

مصيبة جلّت على اهل الارض والسّماء ما اعظمها واعظم رزيّتها في الاسلام فاظلم عند حلولها الاقطار وادلهمّ ادلهام الليل النهار وطار الكرى عن الجفون وتفجرت العيون من العيون وتصدعت الكبود وخدشت الخدود وقد اضحى بها الاسلام منهدّ الاركان مضعضع البنيان قد انكسرت اغصانه وانهدمت جدرانه وانهارت دعائمه وتنكّرت معالمه ودرست سبله وعفت شركه فقد تشتت الامر وظهر الفساد في البرّ والبحر والدّين في عينه قذى وفي حلقه شجى ترى تراثه نهبا وثيابه سلبا وقامت الفتنة على سنابكها داستكم باخفافها ووطئتكم باظلافها فحتّام هذا الرّقاد في مهاد الراحة والاحتشاد والام هذه الغفلة

(١) خبت نار نجدتكم لا خبت * او انشلم العزم يا لا انثلم
فماذا التوانى وما هذه * الغميزة فى خطبنا المدلهم
الستم اذا مسكم طائف * حصدتم له كل قرن نجم
اعيذ العزائم عن ان تنى * والّا فبعداً لها من همم
الا طأطأوا الرّوس ان هكذا * تطلّ الدّما وتباح الحرم
ولا درّ درّ بنى يعرب * ولا احول القطر صوب العجم
هدّوا فتعدو علينا الذّئاب * وتغدو الاجادل صيد الرخم
اما من مغيث النداء للنبى * ام شمل الدّاء والرزء عم
فتلكم ضرائح ابنائه * يسح بها دمعه المنسجم

﴿ حرره على نقى ابن آية الله ممتاز ﴾
﴿ العلماء النقوى اللكهنوى ﴾
١٧ شهر الله سنة ١٣٤٥ هجريه

---

(١) ابيات من قصيدة الحبر الخبير والأديب البارع النحرير الشيخ محمد على الاوردبادى دام فضله ١٢